

التنمية المستدامة في المجال الاجتماعي في السنة النبوية التجليات وسبل التفعيل

د. محمد بن عبد الواحد اصبيحي

جامعة الحسن الثاني - المغرب

ملخص

يتناول هذا البحث بالتحليل والبيان عناية السنة النبوية بالتنمية المستدامة في المجال الاجتماعي، من خلال النظر في الأحاديث النبوية الصحيحة التي عنيت بقضايا التنمية الاجتماعية؛ للإجابة عن سؤال محوري هو: هل نجد في السنة النبوية ما يمكننا من حل مشكلاتنا الاجتماعية، وتوفير واجباتنا الوقتية، ومتطلبات أجيالنا المستقبلية في مختلف القضايا الاجتماعية؟

ونروم من البحث عن الجواب جملة أهداف أهمها: خدمة السنة النبوية باستنطاق نصوصها، وتحليل مقاصدها، وتجديد النظر فيها، وإبراز مكانة السنة النبوية في تحقيق مصالح المعاش والمعاد ودرء مفاسدهما، وقدرتها على تقديم إجابات شافية كافية في مواجهة التحديات العمرانية، وحل المشكلات الاجتماعية في الحاضر والمستقبل، والتأصيل للتنمية المستدامة في المجال الاجتماعي من خلال السنة النبوية وإبراز تجلياتها وسبل تفعيلها في واقعنا المعاصر، والإسهام في تطوير البحث العلمي بما يمكنه من إسعاد الفرد والأسرة والمجتمع والإنسان كل الإنسان، والكشف عن مسؤوليات الأفراد والمؤسسات في تنمية حاجيات المجتمعات حاضرا ومستقبلا.

الكلمات المفتاح: التنمية المستدامة - التنمية الاجتماعية - المجال الاجتماعي
- السنة النبوية - الحاجيات - سبل تفعيل التنمية.

Abstract

This research analyzes and explains the concern of the Sunnah of the Prophet for sustainable development in the social field, through the study of the authentic hadiths of the Prophet that dealt with the themes of social development. To answer a crucial question: Do we find in the Sunnah of the Prophet what will help us solve our social problems, meet our present needs and meet the demands of the social affairs of our future generations?

The most important objectives of our research for the answer are: paying attention to the Sunnah of the Prophet by studying its texts, analyzing its meanings, emphasizing the status of the Sunnah of the Prophet in achieving the benefits of this world and the hereafter, and its ability to provide answers to the challenges of human society, solve present and future social problems and lay the foundations for sustainable development in the social field. Through the Sunnah of the Prophet, and by proposing mechanisms to activate it in the current context of society, and by contributing to the development of scientific research in a way that achieves the happiness of the individual, the family, society and humanity, and by revealing the responsibilities of individuals and institutions in developing the needs of societies, present and future.

Keywords: Sustainable development - social development - social field - Sunnah - needs - mechanisms for activating development.

المقدمة

الحمد لله الخبير العلام، ذي الجلال والإكرام، والطول والإنعام، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الأنام، ورضي الله عن الصحب والتابعين والأئمة الكرام.

أما بعد؛

فقد أكرمنا الوهاب بخير كتاب أنزل، وأفضل نبي أرسل، تلا الآيات، وعلم الأمة الكتاب والحكمة، وزكى النفوس تحلية وتخليّة، وتصفيّة وترقيّة.

ومن خصائص الوحي - كتابا وسنة- شموليته لأحكام الفرد والجماعة، وصلاحيته لكل زمان ومكان، وهديته الخلق إلى الحق، وأمُّ مقاصده حفظ مصالح الدين والدنيا، ودرء مفاسدهما.

ومن المقاصد التي رعتها السنة النبوية تبعاً للقرآن الكريم التنمية المستدامة باعتبارها شرطاً أساساً لتحقيق الحياة الطيبة في الأولى ونيل العيشة الراضية في الأخرى؛ وقد عقد مركز بحوث السنة النبوية بجامعة الوصل دبي مشكورا مأجورا بإذن الله العزّم على تنظيم الندوة الدولية الموسومة بـ «التنمية المستدامة في السنة النبوية واقع وآفاق»؛ خدمة للسنة النبوية العطرة، وإسهاما في الارتقاء بالمجتمع المعاصر، وتلبية حاجياته، واستدامة نظامه وتوازنه، مع مراعاة المستقبل ومتطلباته وآفاقه.

وتأتي هذه الورقة إثراء للموضوع، وصلة لرحم العلم؛ لتكون لبنة مجاورة لبحوث أُخر؛ تحقيقاً لمقاصد الندوة، واصطفيت لها عنوان "التنمية المستدامة في المجال الاجتماعي في السنة النبوية التجليات وسبل التفعيل".

وتتمثل إشكالية البحث في مدى عناية السنة النبوية بالتنمية المستدامة في المجال الاجتماعي، وهل نجد فيها ما يمكننا من تلبية واجباتنا الوقتية، ومتطلبات أجيالنا المستقبلية في المجالات الاجتماعية؟

وسننطلق من فرضية أن السنة النبوية عُنيت عناية فضلى بالمجال الاجتماعي بما يمكن من تحقيق تنمية مستدامة لا للمجتمع النبوي فحسب، ولكن لجيل عصر النبوة والعصور اللاحقة.

ونروم من التحقق من هذه الفرضية والإجابة عن تلكم الإشكالية بلوغ مرام أهمها:

- خدمة السنة النبوية باستنطاق نصوصها، وتحليل مقاصدها، وتجديد النظر فيها.
- إبراز مكانة السنة النبوية في تحقيق مصالح المعاش والمعاد ودرء مفاსدهما، وقدرتها على تقديم إجابات شافية كافية في مواجهة التحديات العمرانية، وحل المشكلات الاجتماعية في الحاضر والمستقبل.
- التأسيس للتنمية المستدامة في المجال الاجتماعي من خلال السنة النبوية وإبراز تجلياتها وسبل تفعيلها في واقعنا المعاصر.
- الإسهام في تطوير البحث العلمي بما يمكنه من إسعاد الفرد والأسرة والمجتمع والإنسان كل الإنسان.

• الإعراب - استنادا إلى السنة النبوية- عن مسؤوليات الأفراد والمؤسسات في تنمية حاجيات المجتمعات حاضرا ومستقبلا.

وبتأمل الأهداف المذكورات تتضح لنا أهمية الموضوع المصطفى وجدواه، فمناطه التنمية المستدامة وهي من الواجبات الوقتية والمشاريع الأممية التي يطمح إليها الأفراد والشعوب والأمم؛ علّ دائرة الحرج والضيق والتعاسة والالام تضيق؛ فتتسع دائرة السعة والسعادة والهناء.

ومورد البحث السنّة النبوية وهي -بالإضافة إلى كونها المصدر الثاني من مصادر التشريع- الشارحة المبينة لآي القرآن ومقاصده وأحكامه.

ومجال البحث هو المجال الاجتماعي، وأحسب أن تنميته رأس التنمية المستدامة وذروة سنامها، فهو غاية الغايات والتنمية الاقتصادية والبيئية له كأدوات.

وقد بحثت فيمن تناول الموضوع؛ فألفيت بعضه أعم من بحثي موردا أو مجالا، وبعضه أخص من وجه وأعم من آخر، وبعضه عني بالتنمية الاقتصادية أو البيئية وليس بالتنمية الاجتماعية، ومن الإنتاجات العلمية التي طالتها يدي:

• كتاب "مستقبلنا المشترك" الذي أعدته اللجنة العالمية للبيئة والتنمية، وترجمه محمد كامل عارف، وراجعه علي حسين حجاج. وهذا يعرض التنمية المستدامة واقعا وتحديات، وحلولا، وتأطيرا قانونيا دون ربطه بالوحي كتابا وسنة.

• كتب وبحوث عنيت بتقديم نظرة إسلامية شاملة للتنمية البشرية عموما أو لبعض فروعها، وفق اجتهاد أصحابها ككتاب "المنظور الإسلامي للتنمية البشرية" لأسامة عبد المجيد العاني، وكتاب "الإسلام والتنمية الاجتماعية" لمحسن عبد الحميد.

• بحوث اهتمت بالتنمية المستدامة أو البشرية في السنة النبوية، ومنها أطروحة "التنمية المستدامة في السنة النبوية دراسة تأصيلية" لبكر عبد الله عواد الخرمان، وبحث ماجستير موسوم بـ "التنمية البشرية في السنة النبوية" للباحثة سماح طه أحمد الغندور، وبحث "دور السنة النبوية في تحقيق التنمية المستدامة" لعادل راشد مناحي الدماك.

• بحوث عنيت بالتنمية الاقتصادية أو البيئية في السنة النبوية، كبحث «التنمية الاقتصادية في السنة النبوية لضيء محمد محمود المشهداني، وبحث «التنمية الاقتصادية في الهدي النبوي لإلهام بدر الجابري، وبحث «آليات تحقيق الاستدامة البيئية في السنة النبوية» لبكر عبد الله الخرمان.

وهذه البحوث والدراسات لم نجد من ضمنها بحثا خاصا بالتنمية الاجتماعية في السنة النبوية؛ فيكون بحثي إضافة للسابق، وتتميما للناقص، وجمعا للمتناثر، مع الاختلاف الذي سيلحظه الناظر في وجهة البناء وصبغة التحليل، وسوق النماذج وربطها بالتنمية المستدامة في المجال الاجتماعي. دون أن نغفل الاعتراف بالفضل لمن سبقنا، وثبت إفادتنا واستمدادنا منهم ما يخدم مقصود بحثنا.

ولتحقيق الأهداف المرجوة من هذه الورقة اعتمدت خطة قوامها مقدمة تشمل تأطير البحث، وإشكاليته، وفرضيته، وأهدافه، وأهميته، والدراسات السابقة فيه، وجديده، وخطته، ومنهجه.

ويلي المقدمة مدخل مختصر نعرف فيه مفاهيم العنوان.

وعطفت على المدخل مبحثين؛ الأول حررت فيه عناية السنة النبوية بمحاربة الفقر والجوع، وتحقيق الأمن الغذائي من حيث التجليات وسبل التفعيل، والثاني: حررت فيه

عناية السنة النبوية بالتنمية المستدامة في الصحة والتعليم من حيث التجليات وسبل التفعيل.

وقد بينت - في المدخل - وجه انتماء تلكم القضايا إلى المجال الاجتماعي، وسبب اقتصارنا عليها.

ويلي المبحث الثاني خاتمة أضمنها نتائج البحث وتوصياته.

واعتمدت **المنهج** القمن بتحقيق ما نصبو إليه وهو المنهج التحليلي المتمثل في النظر فيما لا يسع إغفاله من نصوص السنة النبوية المنوطة بالتنمية المستدامة في المجال الاجتماعي، وإعمال النظر في أحكامها، وحكمها، ومقاصدها، وكيف تثمر تنمية اجتماعية مستدامة بحسن تنزيلها في المجتمع المعاصر؟
والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

مدخل

ينتظم الموضوع ثلاثة مفاهيم أسس؛ الأول: مفهوم التنمية المستدامة، والثاني: مفهوم المجال الاجتماعي، والثالث: مفهوم السنة النبوية. وأحسب حسن التصور يستدعي الافتتاح بتقريبها وبيان المراد منها، وذلك ما سيعرب عنه هذا المدخل بحول الله في أربعة عناصر:

أولاً: مفهوم التنمية المستدامة:

التنمية المستدامة مركب وصفي يتألف من موصوف هو التنمية، ووصف هو المستدامة، ومدار التنمية في اللغة على "الرفع والزيادة والتذكية"⁽¹⁾.

والتنمية في الاصطلاح عرفت بتعاريف تفاوتت إحاطة ودقة، ولعل من أجودها قول الدكتور نبيل محمد السمالوطي: إنها "التحريك العلمي المخطط لمجموعة من العمليات الاجتماعية والاقتصادية من خلال عقيدة معينة؛ لتحقيق التغيير المستهدف بغية الانتقال من حالة غير مرغوب فيها إلى حالة مرغوب فيها"⁽²⁾، ويتأمل هذا التعريف يظهر أن التنمية مصطلح يدل على عمل جاد، مستبصر، مؤسس على حسن النظر وتصور التحديات والمشكلات؛ يُرام منه تذليل الصعوبات وحل المشكلات؛ لتحقيق ما يُرغب فيه اجتماعياً واقتصادياً. ولو أُشير في التعريف إلى الأوضاع البيئية لكان أشمل، وأكثر استيعاباً.

و"المستدامة" في اللغة اسم مفعول من فعل "استدام"، والألف والسين والتاء للطلب؛ فيكون معنى "المستدامة" التي يطلب دوامها، والدوام هو "الاستمرار والثبات، والسكون واللزم والمواظبة والتأني"⁽³⁾.

ولا يختلف معنى المستدامة حين نصف بها التنمية عن المعنى اللغوي؛ إذ تدل على المواظبة والثبات واللزم، ويتأكد ذلك حين تقلب النظر في التعاريف الكثيرة «للتنمية

1. ينظر ابن فارس أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، المحقق / عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، د. ط، 1979م، (5/479)، مادة (نمى).

2. نبيل السمالوطي، علم اجتماع التنمية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع (ص12).

3. ينظر ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (2/315)، مادة (دوم)، وابن منظور أبو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب، المحقق / اليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، بيروت، ط3، 1994م، (-12/213)، (219)، مادة (دوم).

المستدامة»، ومنها تعريف لجنة بريندتلاند التابعة للأمم المتحدة، حيث عرفت الاستدامة بأنها "التنمية التي تلبى حاجات الحاضر دون المساومة على قدرة الأجيال المقبلة في تلبية حاجاتهم"⁽¹⁾، فهذا التعريف ينبئ بأن التنمية المستدامة هي مجموع الخطط والعمليات العلمية المحكمة التي تمكننا من إصلاح الحاضر والارتقاء به، وتحقيق متطلباته، والدوام على ذلك؛ بما يمكن من الحفاظ على متطلبات المستقبل وحاجياته. والتنمية بهذا المعنى شاملة لحاجات مختلف الكائنات الحية، في شتى المجالات.

ثانيا: مفهوم المجال الاجتماعي:

المجال الاجتماعي مركب وصفي يتألف من موصوف هو المجال، ووصف هو الاجتماعي، والمجال في اللغة "موضع الجولان"⁽²⁾، و"الجولان والجول هو الدوران، والتطواف، والذهاب والمجيء"⁽³⁾، والمجال في الاصطلاح تختلف دلالاته باختلاف ما وصف به، والذي يعيننا في هذا السياق هو المجال الاجتماعي، ونقصد به قضايا العمران البشري والاجتماع الإنساني، ومختلف التفاعلات والروابط والأنشطة المنوطة بالعلاقة بين الأفراد والمؤسسات والشعوب.

ثالثا: مفهوم التنمية المستدامة في المجال الاجتماعي:

بتوظيف ما سلف في العنصرين الأول والثاني يمكن تصور التنمية المستدامة في المجال الاجتماعي بأنها عمليات منظمة ومحكمة ومطرقة تروم تطوير وتحسين قضايا العمران البشري والاجتماع الإنساني، وتجويد الأنشطة والعلاقات الاجتماعية والرفع منها؛ بما يمكن من تلبية حاجات الفرد والجماعة في الحاضر والمستقبل. وقد عبّر عن هذا المعنى بتعبيرات اختلف مبنائها، وتقارب معناها، فذهب عبد الباسط محمد حسن، وإسماعيل

1. اللجنة العالمية للبيئة والتنمية، مستقبلنا المشترك، ترجمه محمد كامل عارف، وراجعه علي حسين حجاج، عالم المعرفة، د. ط، 1989م، (ص69). ولعل الترجمة المثبتة في موقع الأمم المتحدة أدق وأدل على المقصود، ونصها: "تعني (أي الاستدامة) تلبية حاجات الحاضر دون المساس بقدرات الأجيال المستقبلية على تلبية حاجاتها الخاصة"؛ ينظر الاستدامة، في موقع الأمم المتحدة، (من دون تاريخ نشر)، اطلع عليه في 04/11/2024م. رابط الموقع: <https://www.un.org/ar/122274>.

2. مرتضى الزبيدي محمد بن محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، المحقق / محمود محمد الطناحي، ومراجعة عبد السلام هارون، وزارة الإعلام بالكويت، 1993م، (28/253).

3. ينظر ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (1/495)، مادة (جول)، وابن منظور، لسان العرب (-11/130)، (131)، مادة (جول).

حسن عبد الباري، ومحمد شفيق إلى أنها "عمليات تغيير اجتماعي social change تلحق بالبناء الاجتماعي ووظائفه بغرض إشباع الحاجات الاجتماعية للفرد والجماعة"⁽¹⁾، فهذا تعريف بالحد.

ورأى بعض الباحثين أن التنمية المستدامة في المجال الاجتماعي أو ما يعبر عنه اختصاراً بالتنمية الاجتماعية "تهدف إلى تطوير التفاعلات المجتمعية بين أطراف المجتمع: الفرد، الجماعة، المؤسسات الاجتماعية المختلفة، المنظمات الأهلية"⁽²⁾، وهذا تعريف بالهدف والثمره.

وبناء على تصورنا لمفهوم التنمية المستدامة في المجال الاجتماعي رأينا أنها غير محصورة في الروابط الاجتماعية كالإخاء، والعدالة والمساواة، وصله الأرحام، وحسن الجوار، وإعانة المحتاج... بل تتجاوزها إلى محاربة الظواهر الاجتماعية التي تعوق التنمية؛ ومن ثم اعتبرنا محاربة الفقر والجوع، وتحقيق الأمن الغذائي، والعناية بالصحة والتعليم من صميم التنمية الاجتماعية، وحاولنا التركيز في النصوص النبوية على المسؤولية المشتركة، وتفاعل كل مكونات المجتمع (أفراد، ومؤسسات، ومنظمات، وحكومات) في تطوير حاجيات الأفراد والجماعة إلى الغنى، والغذاء، والصحة، والتعليم، وربطنا هذه القضايا بالعدالة، والمساواة بين الجنسين، والتكافل الاجتماعي، والسلم الاجتماعي. وإنما لم نفردها بالبيان؛ لضيق المقام، ولعل الله ييسر مناسبة أخرى فتحدث عنها بالتفصيل.

هذا ولسنا بدعا في تصنيف محاربة الفقر والجوع وتحقيق الأمن الغذائي والعناية بالصحة والتعليم ضمن التنمية الاجتماعية؛ فالأمم المتحدة وضعت للتنمية سبعة عشر هدفاً، مقسمة على ثلاثة مجالات (المجال الاجتماعي، والمجال الاقتصادي، والمجال البيئي)، وصنفت القضايا المذكورات ضمن التنمية الاجتماعية.⁽³⁾

وهذا مؤتمر القمة العالمي للتنمية الاجتماعية الذي عقد في كوبنهاجن سنة 1995،

1. مدحت أبو نصر وياسمين مدحت محمد، التنمية المستدامة مفهومها - أبعادها - مؤشراتنا، القاهرة، المجموعة العربية للتدريب والنشر، ط1، 2017م، (ص94).

2. مركز الإنتاج الإعلامي بجامعة الملك عبد العزيز، التنمية المستدامة في الوطن العربي بين الواقع والمأمول، جدة، جامعة الملك عبد العزيز، 2006م، (ص21).

3. أهداف التنمية المستدامة، (بدون تاريخ النشر)، موقع الأمم المتحدة، اطلع عليه في -11-09-2024م، رابط الموقع: <https://www.un.org>.

وحضره أكثر من 14000 شخص، من بينهم مندوبو 186 دولة، و117 ممثلًا على مستوى رؤساء الدول أو الحكومات. تعهدت فيه الحكومات بجعل القضاء على الفقر، وهدف العمالة الكاملة وتعزيز التكامل الاجتماعي، هي الأهداف الأسمى للتنمية الاجتماعية.⁽¹⁾

ومما جاء في التقرير العالمي للتعليم الذي أعدته منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (UNESCO) "تؤدي التنمية الاجتماعية إلى تحسين رفاه الإنسان، وتعزز المساواة وتتوافق مع الديمقراطية والعدالة. والتعليم رافعة قوية لقدرات الإنسان وتمكينه، وجانب أساسي في التنمية الاجتماعية (...). ويرتبط قطاع التعليم ارتباطًا وثيقًا مع القطاعات الأخرى، وأهميته الكبيرة لها مثل أهمية الصحة والتغذية وموارد الطاقة له (...). تتطلب التنمية الاجتماعية الشاملة توفير الخدمات الحيوية للجميع مثل التعليم والصحة والمياه والصرف الصحي والطاقة والإسكان والنقل..."⁽²⁾.

تلکم طائفة من الأطر المرجعية التي اعتمدها في تصور مفهوم التنمية المستدامة في المجال الاجتماعي، وهي تظهر بجلاء اجتماعية القضايا التي اصطفيناها، وقوة ترابطها، وما بينها من التأثير والتأثر.

رابعاً: مفهوم السنة النبوية:

السنة النبوية مركب وصفي يتألف من موصوف هو (السنة)، ووصف هو (النبوية)، والسنة في اللغة تطلق على معان أشهرها وألصقها بموضوعنا "السيرة؛ قال الهذلي (هو خالد بن زهير):

فأول راض سنة من يسيرها فلا تجزغن من سنة أنت سرتها

والسنة في الاصطلاح تختلف دلالتها؛ لاختلاف المجال المعرفي الذي توظف فيه؛ فتطلق على "الشريعة، وعلى أحد الأدلة الأربعة الشرعية، وهو ما صدر عن النبي ﷺ غير

1. مؤتمرات التنمية الاجتماعية (بدون تاريخ النشر)، موقع الأمم المتحدة، اطلع عليه في 02-01-2024م، رباط الموقع: <https://www.un.org/ar/conferences/social-development/copenha-gen1995>.

2. التقرير العالمي لرصد التعليم، (بدون تاريخ النشر)، موقع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، اطلع عليه في 03-02-2025م، رباط الموقع: <https://gem-report-2016.unesco.org/ar/>.chapter

القرآن من قول أو فعل أو تقرير، وتطلق على ما ثبت بالسنة، وعلى ما يعمّ النفل، وتطلق على الطريقة المسلوكة في الدين سواء كانت فرضاً أو نفلاً، وتطلق على الطريقة المسلوكة في الدين من غير وجوب ولا افتراض مما واطب عليه النبي ﷺ ولم يتركه إلا نادراً، وتطلق على نقيض البدعة"⁽¹⁾.

وحين نصف السنة بالنبوية فإننا نعني بها سنة النبي محمد ﷺ؛ فتسع عند المحدثين جميع ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، أو وصف أو هم، أو سيرة، وتختص عند الأصوليين بأقواله وأفعاله التي قصد بها التشريع، فيدخل فيها تقريره ﷺ⁽²⁾. ولأننا في مقام الهدي والتشريع فسنستثمر السنة النبوية في بحثنا هذا بالمعنى الأصولي. والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

المبحث الأول: عناية السنة النبوية بمحاربة الفقر والجوع وتحقيق الأمن الغذائي

لعل مشكلة الفقر والجوع وتدهور الأمن الغذائي من أقسى المشكلات الاجتماعية التي كان ولا يزال الأفراد والمجتمعات والدول يعانون من وطأتها، وإن إطلاقة سريعة في الإحصائيات الرسمية تؤكد هول هذه المشكلة عالمياً؛ ففي "عام 1980 كان هناك 340 مليون فرد في 87 بلداً نامياً لا يحصلون على ما يكفي من السعرات الحرارية للحيلولة دون إعاقة النمو والأخطار على الصحة"⁽³⁾، ولم يتجاوز إجمالي الدخل الفردي لستمائة وعشرة ملايين 610 مليون شخص يسكنون الدول ذات الدخل المنخفض - باستثناء الصين والهند - 190 دولاراً في سنة 1984م⁽⁴⁾.

وإذا كانت التقارير تشير إلى انخفاض معدلات الفقر إلى النصف منذ سنة 2000م،

1. ينظر التهانوي محمد بن علي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم، المحقق/ علي دحروج، ترجمة عبد الله الخالدي، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1996م، (983-1/979).
2. ينظر في التفريق بين الاصطلاحين: طاهر بن صالح الجزائري ثم الدمشقي، توجيه النظر إلى أصول الأثر، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط1، 1995م، (1/37).
3. اللجنة العالمية للبيئة والتنمية، مستقبلنا المشترك (ص51).
4. ينظر اللجنة العالمية للبيئة والتنمية، مستقبلنا المشترك (ص54).

فإنها تشير أيضا إلى أن جائحة كورونا يمكن أن تزيد الفقر العالمي ليصل نصف مليار شخص في العالم. وترتفع نسبة الفقر في إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى حيث يعيش 42% من سكانها تحت خط الفقر، وفي عام 2016، لم يستفد 55 في المائة من سكان العالم - حوالي 4 مليارات شخص - من أي شكل من أشكال الحماية الاجتماعية.⁽¹⁾

ومن التقارير الحديثة الصادمة تقرير أممي أنجزته خمس وكالات متخصصة، وأظهر هذا التقرير عن حالة الأمن الغذائي والتغذية في العالم أن نحو 733 مليون شخص عانوا من الجوع في عام 2023، وهو ما يعادل واحدا من بين كل 11 شخصا على مستوى العالم، وواحدا من بين كل خمسة أشخاص في أفريقيا، وأشار التقرير أيضا إلى أنه في السنة نفسها عانى نحو 2.33 مليار شخص حول العالم من انعدام الأمن الغذائي المعتدل أو الشديد، وهو عدد لم يتغير كثيرا منذ أن شهد ارتفاعا حادا في عام 2020م إبان جائحة كوفيد-19.⁽²⁾

وفي عالمنا العربي ما زال العجز عن تغطية الحاجات الاستهلاكية كبيرا؛ فبينما "لم يتجاوز معدل نمو الإنتاج الزراعي السنوي في الوطن العربي 2,5% خلال السنوات 1970-1985م كان معدل نمو الطلب على المنتجات الزراعية نحو 6% سنويا"⁽³⁾.

وتعتبر مشكلة الجوع والفقر وانعدام أو تدهور الأمن الغذائي من أكبر معوقات التنمية؛ لأنها تؤدي إلى انتشار الجرائم، والحروب، والاعتداء على أرواح الناس وممتلكاتهم، وتردي الوضع الصحي وتهديد السلامة البيئية، فأكثر "الفقراء في العالم يعيشون في أحياء بائسة بدون مياه نقية ولا مرافق صحية؛ مما يجعلهم فريسة سهلة للأمراض، والاضطراب الدائم، وتعتمد معظم البلدان الفقيرة على منتجات الزراعة الاستوائية، أو/ ومشاريع اقتصادية تفاقم مديونيتها، وتجهد بيئتها"⁽⁴⁾، وتحول بينها وبين تحسين معيشة السواد الأعظم من شعبها، وتُعَسَّر تطوير مشاريعها التنموية، كما أنها تتركس تبعيتها وتحكم الآخر

1. ينظر قضايا عالمية: القضاء على الفقر، (من دون تاريخ النشر)، موقع الأمم المتحدة، اطلع عليه في 07/11/2024م. رابط الموقع <https://www.un.org/ar/global-issues/ending-poverty>.

2. ينظر تقرير أممي، 24 تموز/يوليه 2024، موقع الأمم المتحدة، اطلع عليه في 07/11/2024م، رابط الموقع <https://news.un.org/ar/story/2024/07/1132831>.

3. عارف دليلة وآخرون، دراسات في التنمية العربية الواقع والآفاق، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1998م، (ص363).

4. ينظر اللجنة العالمية للبيئة والتنمية، مستقبلنا المشترك (ص54-53). ومركز الإنتاج الإعلامي، التنمية المستدامة في الوطن العربي بين الواقع والمأمول (ص116).

في قراراتها.

ولا تنحصر الآثار السلبية للفقر والجوع وتدهور الأمن الغذائي فيما سلف، بل ثمة آثار أخرى لا تقل خطورة؛ كانتشار الأمراض النفسية والشعور باليأس والهدر المدرسي والتخلف المعرفي، والتفكك الأسري وارتفاع حالات الطلاق، والعزوف عن الزواج أو الإنجاب...

من أجل ذلك ألفينا السعي الحثيث من الحكومات والهيئات وكثير من الباحثين والخبراء إلى تخفيف حدة الفقر والجوع وتحسين الأمن الغذائي تنظيراً وتنزيلاً.

وإسهاماً منا في الموضوع رجعنا البصيرة والبصر وأجلنا الفكر والنظر في سنة النبي القدوة الأبر ﷺ؛ باعتبار سنته أصلاً أصيلاً صالحاً لكل زمان ومكان وإنسان، وحلاً لمشكلات عصره، والعصور التالية؛ فألفيناها حبلً بالوسائل التنموية الكفيلة بتضييق دائرة الفقر والجوع وتحقيق مستوى عالٍ من الأمن الغذائي، والمطالب الآتية شواهد مجليات:

المطلب الأول: الدعوة النبوية إلى العمل والتنفير من العطالة والتسول

يفتقر قطار التنمية المستدامة في المجال الاجتماعي إلى فاعلية المجتمع، والحرص على العمل والكسب من عرق الجبين، ولعل العلاقة بين العمل والفقر ظاهرة؛ فكلما اتسعت معدلات السكان النشيطين المزاولين للعمل، وتقلصت معدلات البطالة ضاقت دائرة الفقر والعوز؛ ولذا جاء الترغيب النبوي في العمل والتنفير من امتهان التسول، وإذلال النفس بمد اليد إلى الغير، ومن شواهد ذلك ما رواه المقدم بن معدّي كرب (رضي الله عنه)، عن رسول الله ﷺ، قال: "مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ"⁽¹⁾؛ ففي هذا الحديث نفي يراد به تقرير "أن خير الكسب عمل اليد"⁽²⁾، وذكر الطعام في هذا الحديث من باب الخاص يراد به العموم؛ فيشمل الأكل والشرب واللباس والسكن، وسائر التكاليف المعيشية؛ فلا أفضل من أن تكون من كد العبد وسعيه، وعمل اليد يقاس عليه عمل سائر الجوارح؛ فيشمل في

1. أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، المحقق/ محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، ط1، 2001م، (3/57) حديث رقم (2072).

2. ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، 1960م، (4/306).

نظري الزراعة، والصيد، والرعي، والتجارة والصناعة، وسائر الخدمات، وما يستجده الناس كالقطاع المالي والمصرفي... ولمزيد من التحفيز والإقناع ذكر النبي ﷺ مثلا فيمن كان قبلنا؛ فأخبر أن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده، والسبب في اصطفاؤه دون سائر الأنبياء أن "اقتصاره في أكله على ما يعمله بيده لم يكن من الحاجة؛ لأنه كان خليفة في الأرض كما قال الله تعالى، وإنما ابتغى الأكل من طريق الأفضل"⁽¹⁾؛ فإذا كان نبي الله داود على استغناؤه عن العمل حريصا على أن لا يأكل إلا من عمل يده فغيره أولى بالحرص عليه.

ومن الأحاديث المرغبة في العمل، والمرغبة عن التسول -أيضا- قوله ﷺ: "لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا، فَيَكْفِيَ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ، أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ"⁽²⁾، ومقصد هذا الحديث كسالفه هو بيان فضل العمل، وشرف أهله، وأن أي عمل يمتننه الإنسان مهما صغرت قيمته في نظر الناس فهو أفضل من العطالة والبطالة وسؤال الناس. وفي الباب أحاديث كثيرة ليس غرضنا استقصاؤها، ولكن تجلية العناية النبوية بإشاعة روح المبادرة إلى ما يُسر من العمل تضييقا لدائرة الفقر، واستجلابا للأمن الغذائي، وحفظا لكرامة الإنسان.

هذا وإن العمل الذي دعت إليه السنة النبوية ورتبت عليه أجرا أخرويا بالإضافة إلى الفائدة الدنيوية هو العمل الشريف النظيف؛ الذي يحقق مصلحة العامل وغيره ويسهم في استقامة أحوال الناس ولا يضاد قصد الشارع، وأما العمل الخبيث فقد حذرت السنة منه ودعت إلى نبذها؛ لمآلاته السيئة في العاجلة والآجلة؛ فكم غني افتقر بعد غنى، وكم صداقة استحالت عداوة، وكم يد انتهت إلى عطالة؛ وكم أخوة آلت إلى عداوة؛ بسبب عمل محرم كالتجارة في الخمر والمخدرات، أو تعاطي القمار، أو التعامل بالربا، أو الاحتكار...⁽³⁾ ولعل من أوضح الأحاديث إيجابا للاقتصار على الكسب الطيب وتحذيرا من الكسب الخبيث قوله ﷺ: "أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: 51] وقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [٧٢]

1. المرجع نفسه، والموضع نفسه.
2. أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة (2/123) حديث رقم (1471).
3. ثبت عن النبي ﷺ أحاديث مستفيضة في تحريم تلك المعاملات، وتوعد صاحبها، والمقام لا يسمح بعرضها، وأحسب أن بعضها مشهور مذكور.

[البقرة: 172]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَعْيَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَعُذِي بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابَ لِذَلِكَ؟⁽¹⁾.
فهذا الحديث يلهمنا طريقين في العمل؛ الأول: طريق الكسب الطيب، وهو سبيل المرسلين وأتباعهم من المؤمنين الصادقين، وسالكة يغنم البركة في الرزق، وقبول الدعاء، والقرب من رب الأرض والسما. والثاني: طريق الكسب الخبيث، وهو سبيل الغاوين المحجوبين عن رب العالمين فلا يقبل منهم صدقة ولا دعاء.

ومن تمام نظرنا -ونحن نرجع البصيرة والبصر ونقلب النظر- في النصوص الداعية إلى العمل الشريف، النابذة العطالة والعمل الخبيث أن تتجاوز قصرها على الأفراد؛ فحكمها يستوعب الحكومات والمؤسسات؛ فكما يوجد أفراد فقراء، توجد دول ومجتمعات فقيرة، وكما يطلب من الأفراد الإنتاج والعمل لتجاوز مشكلة الفقر؛ يطلب من الحكومات والمؤسسات التخطيط الرصين والسعي المكين إلى استثمار ما عندها من موارد بشرية وطبيعية؛ لتنمية إنتاجها، وتحقيق أمنها الغذائي.

المطلب الثاني: حسن التدبير ومحاربة الإسراف والتبذير

لم تُعَنَ السنة النبوية بموارد الإنسان وكسبه فحسب، وإنما عُنيَت -أيضا- بمصارفه ومواضع إنفاقه؛ فجاء الإخبار النبوي بأن الإنسان موقوف يوم القيامة ومسؤول عن مأخذ ماله ومصرفه؛ فقال النبي عليه الصلاة والسلام: "لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ"⁽²⁾.

وإنما النجاة يوم السؤال بأن يطيب مصدر المال، ويحسن إنفاقه، وحسنُ الإنفاق يقتضي تحاشي رذيلتين؛ أولاهما: الإسراف والثانية: التبذير، والفرق بينهما -على ما رجح لي- أن "الإسراف صرف الشيء فيما ينبغي زائداً على ما ينبغي؛ بخلاف التبذير؛ فإنه صرف الشيء فيما لا ينبغي"⁽³⁾.

1. أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها (2/703) حديث رقم (1015).

2. أخرجه الترمذي في أبواب صفة يوم القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب في القيامة (4/612) حديث رقم (2417).

3. الشريف الجرجاني علي بن محمد، التعريفات، المحقق / جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب

إننا نعتقد أن مشكلة الناس أفرادا وأما ليست في نقص أو فقر الموارد الطبيعية والثروات الغذائية، ولكن المشكلة بل المعضلة في كيفية إنفاقها وتوزيعها، وباعت هذا الاعتقاد منطوق القرآن، ومنطوق الواقع؛ فأما الأول فإن الله عز وجل أخبرنا بأنه خير بصير بأحوال عباده، وأن له خزائن السموات والأرض، فيعطي العباد من خزائنه بمقدار حكيم دقيق يناسب احتياجاتهم؛ فقال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر: 21]، وقال تعالى: ﴿*وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى: 27]. وأما الواقع فإنه ملحوظ مشاهد ينبئ عن ظاهرة الإسراف والتبذير الفرديين والجماعيين؛ مما يعمق ويديم فقر وحرمان أفراد آخرين ودول أخرى، أو يهوي بالمسرف المبذر فردا كان أو دولة من الغنى إلى الفقر.

لقد جاءت السنة النبوية العطرة مؤكدة ما في القرآن الكريم؛ فنهت عن الإسراف والتبذير، والشواهد وفيرة ننتقي منها قول النبي ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ"⁽¹⁾، ففي هذا الحديث نهي عن إضاعة المال؛ وإضاعته تشمل تجاوز حد الاعتدال في الإنفاق كما تشمل إنفاق المال في وجه غير مرضي شرعا، ومن الأحاديث الصريحة في هذا الباب قول النبي ﷺ: "كُلُوا وَاشْرَبُوا وَابْتَسُوا وَتَصَدَّقُوا، فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ"⁽²⁾؛ ففي هذا الحديث أمر النبي ﷺ أمر بإباحة الأكل والشرب واللباس والصدقة -وفي معنى المذكورات سائر وجوه الإنفاق المأذون فيها شرعا- شرط تحاشي الإسراف وبقياس الأولى تحاشي التبذير، والبعد عن المخيلة وهي "العجب والكبر"⁽³⁾.

وجماع الكلم في المطلبين السابقين أن السنة النبوية ضبطت مصدر المال كما ضبطت مصرفه موضعا وكما وكيفا، ومن مقاصد ذلك ذود الفقر والجوع عن الناس والحفاظ على أمنهم الغذائي.

العلمية، بيروت، ط2، 2003م، (ص28).

1. أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: «لا يسألون الناس إحافا» (2/124) حديث رقم (1477)، ومسلم في كتاب الأضحية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة (3/1341) حديث رقم (593). واللفظ للبخاري.

2. ذكره البخاري معلقا بصيغة الجزم في كتاب التفسير، باب قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ [الأعراف: 32]، (7/140).

3. ينظر: ابن الأثير مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث رقم والأثر، المحقق/ طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1979م، (2/93).

المطلب الثالث: سنُّ التكافل الاجتماعي

أباحت شريعتنا الغراء للإنسان أن يسعى لتنمية ممتلكاته، وتزكية ثروته، ولكنها في الوقت ذاته وضعت نظاما اجتماعيا واقتصاديا شاملا يحمي حقوق الفرد والجماعة، والقوي والضعيف، والصغير والكبير، والأثرياء الأغنياء والمحرومين الفقراء؛ فأوجبت لهؤلاء على أولئك حقا، وسنت التكافل الاجتماعي، وهو مفهوم شامل يعني مشاركة الكل في حفظ مصلحة الكل، و"أن يصير الفرد في كفالة مجتمعه؛ فيقوم له المجتمع بما يلزم عند اقتضاء الحال ذلك، وأن يقدم كل فرد قادر ما يمد المجتمع بالخير، ويحفظ كيانه، ويعلي بنيانه، ويرفع شأنه"⁽¹⁾. وهو بهذا المعنى واسع جدا يغطي كل مجالات الحياة، ولكن لضيق المقام ومراعاة للسياق سنقتصر على صور منتقاة من السنة النبوية مما له تعلق بمحاربة الفقر والجوع وتحقيق الأمن الغذائي؛ **والصورة الأولى:** فريضة الزكاة التي عدها النبي ﷺ ركنا من أركان الدين؛ فقال: بني الإسلام على خمس: "بُني الإسلام على خمس: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ"⁽²⁾، وجعلها ثالث وظيفة لمعاذ (رضي الله عنه) لما بعثه إلى اليمن؛ فعن ابن عباس: "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا (رضي الله عنه) إِلَى الْيَمَنِ، فَقَالَ: "ادْعُهُمْ إِلَى: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوهُ لِذَلِكَ، فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ حَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوهُ لِذَلِكَ، فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِنْ أَعْيَانِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فَقَرَائِهِمْ"⁽³⁾، وهذا الحديث يظهر لنا العناية النبوية الواضحة بالتكافل؛ حيث أمر عليه الصلاة والسلام بتوزيع الزكاة على فقراء البلد نفسه، وفي ذلك إشارة إلى أنها لا تنقل إلى غيرهم حتى تتحقق الكفاية فيهم، وتسد خصائصهم.

إن الزكاة باب عظيم من أبواب تحقيق التنمية الاجتماعية من جوانب شتى؛ وفيما يتعلق بسياق حديثنا فالزكاة متى أعطيت إلى الفقراء والمساكين والغارمين وابن السبيل تمكنوا -كلا أو بعضا- من تأمين غذائهم، وتوفير طعامهم ولباسهم ومسكنهم، وسائر

1. عبد العال أحمد عبد العال، التكافل الاجتماعي في الإسلام، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997م، (ص13).

2. أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب دعاؤكم إيمانكم (1/11) حديث رقم (8)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام (1/45) حديث رقم (16).

3. أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة (2/104) حديث رقم (1395)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (1/50-51) حديث رقم (19). واللفظ للبخاري.

حاجياتهم... وإذا كانت الزكاة مصحوبة بالتوجيه والمراقبة وحسن التسيير وجودة التدبير فإنها ستُخرج الفقراء كلا أو بعضا من دائرة العوز والحاجة إلى دائرة الغنى أو الكفاف بمشاريع نهضوية تدر عليهم أرباحا، وتلبي متطلبات عيشتهم الكريم.

وفي الزكاة توفير فرص شغل للعاملين عليها، وإدماج للمؤلفة قلوبهم وإشعارهم بأنهم في كفالة المجتمع الإسلامي، وإذا فسرنا مصرف في سبيل الله بجميع المجالات الخيرية فلا يخفى أثرها في تحقيق مقصد التكافل الاجتماعي. وأما مصرف (الرقاب) فقد كان محققا معنى كفالة الأحرار للعبيد والإماء بإخراجهم من ربقة العبودية، ومن فضل الله علينا في زماننا أنه خلّو من الرقيق.

والزكاة من أفضل السبل لحماية أموال الأغنياء من النهب والسلب، والغصب، وسائر ألوان الاعتداء، كما أنها تقوي الروابط الاجتماعية؛ بإشاعة المحبة والتواد بين الأغنياء والمحتاجين، وتبعد شعور الكراهية، والبغضاء...

والصورة الثانية: الوقف، ويعني "حبس العين على ملك الواقف والتصدق بالمنفعة"⁽¹⁾، وقد أرشد النبي ﷺ إليه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)⁽²⁾؛ لما استشاره في الأرض التي أصابها بخير.⁽³⁾

وَبَيَّنَ ﷺ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَظْمَ أَجْرِهِ؛ فَقَالَ: "مَنْ أَحْتَبَسَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِيْمَانًا بِاللَّهِ، وَتَصَدِيقًا بِوَعْدِهِ، فَإِنَّ شَبَعَهُ وَرِيَّهُ وَرَوْنَهُ وَيَوْلَهُ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"⁽⁴⁾؛ وإنما كان أجره كذلك؛ لما يحققه من المقاصد الجليلة، وفي مقدمتها التكافل الاجتماعي، وتقوية الروابط بين أفراد المجتمع.

والصورة الثالثة: الصدقة الجارية، والعلاقة بينها وبين الوقف علاقة عموم وخصوص؛ فكل وقف صدقة جارية، ولا عكس؛ لأن الصدقة الجارية تستوعب كل صدقة "يجري نفعها

1. الشريف الجرجاني، التعريفات ص(253).

2. إرشاد النبي ﷺ لعمر إرشاد لغيره بالتبع؛ لأن الخطاب النبوي للواحد خطاب للجماعة إلا ما استثني بقرينة.

3. حديث عمر أخرجه البخاري في كتاب الشروط، باب الشروط في الوقف (3/198-199) حديث رقم (2737)، ومسلم في كتاب الوصية، باب الوقف (3/1255) حديث رقم (1632-1633).

4. أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب من احتبس فرسا (4/28) حديث رقم (2853).

وأجرها ويدوم"⁽¹⁾، وكلما استمر النفع والأثر بقي الثواب والأجر، وإن مات المتصدق، ودليل ذلك حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ قال: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»⁽²⁾.

والصورة الرابعة: التأمين التعاوني، وهو من عقود التبرعات لا المعاوضات؛ ولذا اغتفر فيه الغرر والجهالة. ومعنى التأمين التكافلي "أن يتفق مجموعة من الأقارب، أو الأصدقاء، أو الزملاء على أن يدفع كل منهم اشتراكًا معينًا، لتعويض الأضرار التي قد تصيب أحدهم إذا تعرض لخطر معين من مرض، أو خسارة، أو احتراق"⁽³⁾.

ويستمد التأمين التعاوني مشروعيته من عموم النصوص الداعية إلى التعاون؛ كقوله ﷺ: "وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ"⁽⁴⁾، ومن الأحاديث الخاصة كقوله ﷺ: "إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْعَزْوِ أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي تَوْبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ افْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ"⁽⁵⁾؛ فهذا الحديث يفتح باب التكافل التعاوني سواء بين الأفراد أو بين المؤسسات، بل يمكن تطبيقه أيضا بين الدول، وسواء كان الاشتراك موحدًا أو متفاوتًا؛ لتفاوت الدخل والقدرة المالية. ولا شك أن هذه الصورة من أرقى صور أجراً مفهوم الجسد الواحد والبناء الواحد في العلاقات الاجتماعية.

وإذا كان النبي ﷺ قد أقر الأشعريين وأشاد بتأمينهم التعاوني في الطعام الذي جسد معنى الأمة الواحدة والجسد الواحد؛ فإننا نستطيع أن نطوره، ونجدد أساليبه؛ ليستجيب

1. القاضي عياض أبو الفضل بن موسى، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المكتبة العتيقة، تونس، ودار التراث، القاهرة، 1978م، (1/145).
2. أخرجه مسلم في كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (3/1255) حديث رقم (1631).
3. التويجري محمد بن إبراهيم، موسوعة الفقه الإسلامي، بيت الأفكار الدولية، السعودية، ط1، 2009م، (3/446).
4. جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، (4/2074) حديث رقم (2699).
5. أخرجه البخاري في كتاب الشركة، باب الشركة في الطعام (3/138) حديث رقم (2486)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة (رضي الله عنهم)، باب من فضائل الأشعريين (رحمهم الله) (4/1944) حديث رقم (2500).

لما استجد من التحديات والواجبات الوقتية؛ كالتأمين على المرض، والسكن، والمركب، والولادة، والتعليم، والعجز عن العمل، وغير ذلك كثير؛ وبهذا نلبي مختلف حاجيات المجتمعات ومتطلبات رقيه.

والصورة الخامسة: الدعوة النبوية الملحاحة إلى إعانة المحتاج والضعيف بما يستطيع؛ ككفالة اليتيم والسعي على الأرملة والمسكين، وإنظار المعسر، وقضاء الحوائج، وإطعام الجائع، وقضاء الدين عن المدين... وفي ذلك أحاديث كثيرات واضحات، نقتصر منها على ثلاثة؛ الأول: قوله ﷺ: "أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا". وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَابَةَ وَالْوُسْطَى (1)، والثاني: قوله ﷺ: "السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمَسْكِينِ كَالْمَجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ كَالَّذِي يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ" (2)، والثالث: قول النبي ﷺ: "مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ" (3).

تلك صور خمس - لا ندعي إحاطتها بالمقصود- ناطقات بالمكانة السنية والمنزلة العلية التي تبوأها التكافل الاجتماعي في السنة النبوية؛ باعتباره مفتاحا لتضييق دائرة الفقر، وتقليص المسافة بين الأغنياء والفقراء، والأقوياء والضعفاء، وتخفيض معدلات الجوع والحرمان، وتوفير الأمن الغذائي للأفراد والمجتمعات كما وكيفا، وترسيخ قيم المحبة والإخاء، والتراحم والتعاطف، وتمتين عرى التماسك والتعاون...

المطلب الرابع: الترغيب في الادخار، والترغيب عن الاحتكار

ثبت عن عمر (رضي الله عنه): "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَبِيعُ نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ وَيَحْبِسُ لِأَهْلِهِ قُوتَ سَنَتِهِمْ" (4)، وهذه سنة فعلية تشريعية إرشادية إلى أنه لا حرج على العبد في أن

1. أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب فضل من يعول يتيما (8/9) حديث رقم (6005).
2. أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب الساعي على الأرملة (8/9) حديث رقم (6006)، ومسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين (4/2286) حديث رقم (2982).
3. جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن (4/2074) حديث رقم (2699).
4. أخرجه البخاري في كتاب النفقات، باب حبس نفقة الرجل قوت سنة على أهله وكيف نفقات العيال؟ (7/63) حديث رقم (5357).

يدخر؛ قال الإمام ابن بطال (ت449هـ): "قال المهلب: في هذا الحديث دليل على جواز ادخار القوت للعالم للأهل والعيال، وأن ذلك لا يكون حكرة، وأن ما ضمه الإنسان من أرضه أو جدّه من نخله وثمره وحبسه لقوته لا يسمى حكرة، ولا خلاف في هذا بين الفقهاء"⁽¹⁾. قلت: وفيه -أيضا- أن الادخار المذكور كان ديمة؛ بدلالة الفعل المضار (يحبس)، وفيه أن مجرد الادخار لا ينافي التوكل؛ لأن النبي ﷺ كان ولا يزال سيد المتوكلين، ومع ذلك كان يدخر قوت حَوْل كامل. ويقاس على ادخار التمر المذكور في الحديث ادخار سائر الأطعمة، وادخار الأموال العينية وغيرها؛ فليس ثمة فارق بينها.

وإذا كان الادخار محمودا في حق الأفراد فهو مطلوب من باب أولى في حق المؤسسات والحكومات؛ فلا بأس أن تدخر لوقت الشدة أو الحاجة؛ فقد ينعم بلد بعام غوث ورخاء، ثم يبتلى بسنة أو سني قحط وعناء؛ فإن لم يكن في خزائنها مدخرات افتقرت، وربما أصابتها مجاعة عامة.

وإذا كان النبي ﷺ قد أرشدنا إلى الادخار؛ باعتباره ملمحا لحسن التدبير والتخطيط، ووسيلة من وسائل درء الافتقار؛ فإنه نقر من الاحتكار؛ لما يسببه من أضرار وأخطار؛ فقال عليه الصلاة والسلام: "لَا يَحْتَكِرُ إِلَّا خَاطِئٌ"⁽²⁾؛ فهذا الحديث صريح في تحريم الاحتكار؛ لأن النبي ﷺ وصف المحتكر بالخاطيء، ومعناه الآثم المذنب، وقد اختلف العلماء في فقه هذا الحديث؛ فذهبت طائفة إلى القول بعموم النهي عن الاحتكار في الطعام وغيره، وخصه آخرون بالطعام؛ وقد اتفقوا على أن اشتراء التاجر الطعام في وقت الغلاء ليزداد غلاء محرم؛ لهذا الحديث، ولعل الأمر في الاحتكار منوط بالضرر؛ فمتى أدى إلى ضرر عام؛ لم يجز وكان المحتكر آثما عاصيا، وأما مجرد اشتراء سلعة والتربص بها بلا ضرر محقق أو يغلب على الظن وقوعه فليس بمحرم. وخلاصة الكلام في الاحتكار أنه حرم منه ما يكون سببا لتجويع الناس، وحرمانهم من الغذاء، أو افتقار التجار وكساد تجارتهم، وإشاعة العداوة والبغضاء والنفرة في قلوبهم.

ولعل المطالب الأربعة المحررة كافية -وإن كانت غير محيطة- في التدليل على عناية السنة النبوية بالتنمية الاجتماعية عموما، ومحاربة الفقر والجوع وتحقيق الأمن

1. ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف، شرح صحيح البخاري، المحقق / أبي تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط2، 2003م، (7/533).

2. أخرجه مسلم في كتاب المساقاة، باب تحريم الاحتكار في الأقوات (3/1228) حديث رقم (1605).

الغذائي على وجه الخصوص.(1)

وإتماما لما حررناه، ودفعاً للإشكال والالتباس نذكر بأن في السنة النبوية نصوصاً ظاهرة مدح الفقر والتحريض عليه، وتفضيل الفقراء على الأغنياء؛ كقوله ﷺ: "يَدْخُلُ الْفُقَرَاءُ الْجَنَّةَ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بِحَمْسِمِائَةِ عَامٍ نِصْفِ يَوْمٍ"⁽²⁾، وقوله: "أَظْلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ..."⁽³⁾، وهذه الأحاديث متأولة بما يناسب سياقها ولا يصادم غيرها من النصوص، ولا يعطل مقصود الشارع؛ فحديث أبي هريرة مضمول على أن الأغنياء حبسوا من أجل الحساب على أموالهم، لا أن منزلتهم في الجنة تأخرت؛ لغناهم، وحديث عمران يحمل على "أن الفقراء في الدنيا أكثر من الأغنياء فأخبر عن ذلك كما تقول أكثر أهل الدنيا الفقراء إخباراً عن الحال وليس الفقر أدخلهم الجنة وإنما دخلوا بصلاحهم مع الفقر فإن الفقير إذا لم يكن صالحاً لا يفضل"⁽⁴⁾؛ وهكذا فالفقر في ذاته ليس منقبة، والغنى ليس مذمة ولا منقصة، لكن يحمد المرء لو قُدر عليه رزقه؛ فصبر واحتسب، ولم يهمل السعي طلباً للرزق؛ فينال أجر المتوكلين الصابرين، ويحمد -أيضاً- حين ينعم الله عليه بالسعة في رزقه، فيشكر ويسارع في الخيرات؛ فينال أجر المتوكلين الشاكرين، ثم تتفاوت منازل الناس في الجنة؛ لتفاوت صلاحهم وقوة إيمانهم، لا لمجرد فقرهم وغناهم. وإنما حملنا على هذا التأويل أن الله ﷻ أمرنا بالضرب في الأرض والابتغاء من فضله؛ فقال ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: 15]، وامتن على النبي ﷺ بإخراجه من الفقر إلى الغنى؛ فقال سبحانه: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ [الضحى: 8]، وثبت عنه ﷺ مدح الغنى، فقال لعمر بن العاص (رضي الله عنه): "يَا عَمْرُو، نَعَمَّا

1. ثمة مطلب خامس لا يحسن الغفلة عنه؛ لأثره القوي في محاربة الجوع والفقر وتحقيق الأمن الغذائي هو الدعوة إلى غرس الأشجار والحفاظ على الثروة المائية، لكننا أجلناه إلى المبحث التالي؛ لأن له تعلقاً به أيضاً.

2. أخرجه الترمذي في أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم (4/578) حديث رقم (2353). وقال الترمذي: "حديث حسن صحيح".

3. جزء من حديث أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة، (4/117) حديث رقم (3241).

4. ابن حجر العسقلاني، فتح الباري (11/279).

بِالْمَالِ الصَّالِحِ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ"⁽¹⁾، وثبت عنه ﷺ أنه تعود بالله من الفقر وقرنه بالكفر؛ فقال: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ، وَالْفَقْرِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ"⁽²⁾.

وبهذا يتأكد أن السنة النبوية نمت المجال الاجتماعي؛ فحاربت الفقر الفردي والجماعي، ولم تتركه، وضيقت منافذ المجاعة، وأثارت السبل لتحقيق الأمن الغذائي؛ فحري بنا أن نفيد منها، ونحسن تفعيلها في واقعنا، ومن سبل تفعيلها ما يلي:

- إسهام الحكومات ومختلف الهيئات الوطنية والدولية، والمنابر الإعلامية، والمؤسسات البحثية، والهيئات العلمية والدعوية، وجميع مؤسسات المجتمع المدني في نشر الوعي بأهمية العمل، ومخاطر البطالة، ومقومات الأمن الغذائي.
- إسهام الأفراد والمؤسسات في تربية النشء على حب العمل الشريف والحرص عليه، والكسب من عرق الجبين، ونبذ البطالة والعطالة.
- سنّ القوانين واتخاذ الإجراءات التي تضيق سبل الكسب الخبيث، وامتهان التسول.
- استثمار المشترك الإنساني، والقيم الكونية، والوحدة المصيرية، وتنوع الموارد الطبيعية في تطوير تكافل اجتماعي محلي ودولي كفيل بالحد من فقر الدول والشعوب، ومواجهة الجوائح والكوارث، وإنتاج غذاء عالمي كاف وكيفا.
- التدبير الحسن للموارد الطبيعية، ومنع إهدار الطعام والإسراف في الثروة المائية.
- تضافر جهود الدول والمؤسسات والأفراد في تطوير وتنويع فرص الشغل، والاستفادة من الخبرات الوطنية والأجنبية.

1. جزء من حديث أخرجه أحمد في حديث عمرو بن العاص عن النبي ﷺ (29/298) حديث رقم (17763). وصحح إسناده الحافظ زين الدين العراقي، ينظر: زين الدين العراقي أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين، المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، مطبوع بهامش إحياء علوم الدين، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2005م، (1/1138).

2. جزء من حديث أخرجه أبو داود في أول كتاب الأدب، أبواب النوم، باب ما يقول إذا أصبح (7/421) حديث رقم (5090)، والحديث رقم سكت عنه أبو داود، وما سكت عنه فهو صالح كما صرح في رسالته.

- تعزيز قيم السلم والتعايش؛ مما يذلل التعاون المشترك، ويحد من الحروب والصراعات الأهلية والإقليمية والدولية؛ باعتبار الحروب والصراعات من أبرز أسباب انتشار الفقر والمجاعة، وسوء التغذية.

المبحث الثاني: عناية السنة النبوية بالتنمية المستدامة في الصحة والتعليم

الصحة والتعليم أولى الأولويات في التنمية المستدامة؛ فلا رقي للمجتمعات ولا تحضر لها بدون صحة جيدة، وتعليم جيد، ولا ريادة اقتصادية إلا باستدامة التنمية في مجالي الصحة والتعليم؛ لأجل ذلك تسعى المنظمات العالمية وفي مقدمتها منظمة الصحة العالمية (WHO)، ومنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (UNESCO) وحكومات الدول -على تفاوت واضح بينها- وخبراء الصحة والتعليم والمؤسسات البحثية المحلية والدولية المعنية بهما إلى وضع البرامج والمخططات، ورسم الاستراتيجيات، وتجهيز الموارد المالية والبشرية؛ لأجل تحسين الوضع الصحي، وتطوير التعليم.

وقد أثمر تضافر الجهود تحسنا ملحوظا في المجالين؛ ففي مجال الصحة لوحظ تزايد واضح في مؤشرات متوسط العمر، وانخفاض في معدلات وفيات الأطفال في ثمانينيات القرن الماضي.⁽¹⁾

واستمر الخط التصاعدي في تحسن مستوى الصحة العالمي في السنوات والعقود اللاحقة، كما تدل عليه تقارير رسمية.⁽²⁾

وفي مجال التعليم تشير الإحصائيات الرسمية إلى تحسن ملموس فيه؛ فقد أفاد "تقرير اليونسكو العالمي لرصد التعليم لعام 2024م بأنه التحق 110 مليون طفل وشاب إضافي بالمدارس منذ اعتماد هدف الأمم المتحدة المعني بالتعليم ضمن أهداف التنمية المستدامة في عام 2015، وأن عدد الأطفال الملتحقين بالمدارس اليوم هو أكبر من أي وقت مضى، ومعدلات إتمام الدراسة تتزايد كون أن عدد الشباب الذين يُتمون تعليمهم

1. اللجنة العالمية للبيئة والتنمية، مستقبلنا المشترك (ص133).

2. ينظر مثلا: منظمة الصحة العالمية، منشور الإحصاءات الصحية العالمية 2010م. ويتألف من 177 صفحة، ومنشور الإحصاءات الصحية العالمية 2024، ويتألف من 96 صفحة، وكلاهما منزل على موقع المنظمة. ورابطه: <https://www.who.int>.

الثانوي ارتفع بمقدار 40 مليون شاب اليوم مقارنةً بعام 2015م⁽¹⁾.

وعلى أهمية المعطيات أعلاه؛ فإن هذا التحسن ما زال دون مستوى الطموح، وما انفك يعاني من صعوبات وتحديات؛ ففي القطاع الصحي يظهر "اتساع الفجوة بين النظم الصحية العالمية، وضعف البنى التحتية والأطر الطبية أو عدم كفايتها في كثير من البلدان النامية، ومصراع سبعة ملايين شخص سنويا وانتشار الأمراض المعدية كالمalaria، وأمراض الجهاز التنفسي بسبب التغير المناخي واختلال التوازن البيئي"⁽²⁾.

ومن التحديات -أيضا- عدم المساواة في الحصول على الرعاية الصحية، والآثار الصعبة للأوبئة والجوائح، وآخرها جائحة كورونا، وغياب العدالة في تمكين الدول من الحصول على الأدوية واللقاحات الآمنة. وأما المؤشرات العالمية التي تدل على تحقيق تطور ملحوظ في التنمية الصحية فإنها تصدق على الأرقام من حيث الإجمال، وأما تفصيلا فإننا نجد جزءا كبيرا من سكان العالم يفتقر إلى مجرد إمكانية الوصول إلى خدمات الرعاية الصحية الحيوية.⁽³⁾

وفي قطاع التعليم أفاد تقرير اليونسكو العالمي لرصد التعليم لعام 2024م بأن 251 مليون طفل وشاب لا يزالون خارج المدرسة، ويعاني التعليم -خاصة في الدول ذات الدخل المنخفض- من نقص حاد ومزمن في تمويل التعليم والاستثمار فيه؛ إذ تنفق 4 من كل 10 دول أقل من 15% من إجمالي الإنفاق العام.⁽⁴⁾

وتتوقع الأمم المتحدة بأنه "إذا لم يتم اتخاذ تدابير إضافية، لن يتمكن حوالي 84 مليون طفل وشاب من دخول المدرسة بحلول 2030، وسيفتقر ما يقرب من 300 مليون

1. أودري أزولاي، 31 أكتوبر 2024، بيان صحفي، موقع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، اطلع عليه في 10-11-2024م، رابط الموقع: <https://www.unesco.org>.

2. ينظر: التحديات الصحية العالمية الملحة في العقد القادم، 13 كانون الثاني/يناير 2020م، موقع منظمة الصحة العالمية، اطلع عليه في 09-11-2024م، رابط الموقع: <https://www.who.int>.

3. ينظر أهداف التنمية المستدامة، الهدف الثالث: الصحة الجيدة والرفاه، (بدون تاريخ النشر)، موقع الأمم المتحدة، اطلع عليه في 09-11-2024م، رابط الموقع: <https://www.un.org>.

4. ينظر أودري أزولاي، 31 أكتوبر 2024، بيان صحفي، موقع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، (مرجع إلكتروني سابق).

طالب إلى مهارات الحساب والقراءة والكتابة الأساسية اللازمة للنجاح في الحياة"⁽¹⁾.

إن وضع الصحة والتعليم في العالم عموماً والدول النامية خصوصاً يقتضي التفكير الجاد والدائم في سبل الحفاظ على المقدرات، وتحاشي الانتكاسات، وتذليل الصعوبات، ومواجهة النقص والتحديات. وذلك ما تعنى به المنظمات⁽²⁾ والهيئات والحكومات، وكثير من الباحثين والخبراء.

وانطلاقاً من إيماننا بشمولية السنة النبوية وواقعيتها هرعنا إليها استنطاقاً لنصوصها؛ فألفينا فيها ثروة من التوجيهات في المجالين الصحي والتعليمي، يمكن استثمارها في التنمية المستدامة للمجالين، وسنحرر ما يسمح به المقام في مطلبين:

المطلب الأول: التنمية النبوية المستدامة في المجال الصحي

نبه النبي ﷺ إلى مكانة الصحة وكونها نعمة من أعظم المنن الربانية؛ فقال: "نِعْمَتَانِ مَعْبُودُونَ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ"⁽³⁾، فهذا الحديث فيه تصريح وتذكير بأن الصحة نعمة؛ فهي تستوجب الحفاظ عليها ووقايتها وعلاجها، وتستوجب حسن توظيفها، لكن بسبب الجهل بقيمتها أو الغفلة عن ذلك؛ عُبن فيها كثير من الناس، والمغبون هو "ضعيف الرأي، الذي يبيع ما عنده ببخس من المال"⁽⁴⁾؛ فكأنه عنى أن الذي لا يحافظ على صحته أو لا يوظفها في صلاح دنياه وآخرته باعها برخص؛ فكان من الأخسرين في صفقته. وتأكيداً على أهمية الصحة جعل النبي ﷺ صحة البدن ثلاثة ثلاثة من ملكها؛ فكأنما ملك الدنيا؛ فقال -كما في حديث عبيد الله بن محصن الخطمي-: "مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ أَمِينًا فِي

1. أهداف التنمية المستدامة، الهدف الرابع: التعليم الجيد، د. ت، موقع الأمم المتحدة، اطلع عليه في 10-11-2024م، رابط الموقع: <https://www.un.org/>.

2. من أحدث المشاريع المؤسسية المشتركة في مجال الصحة: خطة العمل المشتركة بشأن نهج الصحة الواحدة (2022-2026)، وشعارها العمل من أجل صحة البشر والحيوان والنباتات والبيئة، وقام بإعدادها ونشرها منظمة الأغذية والزراعة وبرنامج الأمم المتحدة للبيئة ومنظمة الصحة العالمية والمنظمة العالمية لصحة الحيوان، روما 2024.

3. أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب لا عيش إلا عيش الآخرة (8/88) حديث رقم (6412).

4. ينظر ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، المحقق / دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر، دمشق، ط1، 2008م، (29/399).

سِرِّهِ، مُعَافَى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حَيَّرَتْ لَهُ الدُّنْيَا"⁽¹⁾.

إن هذين الحديثين يرشدان الإنسان إلى إدراك قيمة الصحة والحفاظ عليها، وتنمية عطائها، ويرشدان الأطباء إلى استشعار عظمة وظيفتهم باعتبارهم حماة الصحة، والمسهمين مباشرة في سلامتها وقاية أو علاجاً، ويرشدان القادة وصناع القرار إلى أن السهر على صحة الناس أولى الأولويات المنوطة بهم؛ وبهذا تكون الصحة مسؤولية مجتمعية، يتفاعل في حمايتها وتحسينها كل أطراف المجتمع، وليست مسؤولية فردية.

ولم تنحصر العناية النبوية بالصحة في التنبيه إلى قيمتها، ولكن أضاف إليه توجيهات حكيمة جلت العناية بالتنمية المستدامة في مجالي الصحة الوقائي والعلاجي، وفيما يلي البيان:

✓ الشق الأول: التنمية النبوية المستدامة في المجال الوقائي

أكثرُ بصور التنمية النبوية المستدامة في مجال وقاية الصحة؛ فمنها: **عنايته** ﷺ **بالسلامة الغذائية**؛ حيث أمر بالتوسط في الأكل؛ حفاظاً على الجهاز الهضمي؛ فقال -كما في حديث المقدام بن معدي كرب (رضي الله عنه)- "مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ. يَحْسِبُ ابْنُ آدَمَ أَكْلَاتٍ يُقْمَنَ صُلْبُهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَتُلَّتْ لِبَطْنِهِ وَتُلَّتْ لِنَفْسِهِ"⁽²⁾، وأمر بأكل الطيبات؛ لما فيها من تزويد البدن بالطاقة والنمو والمناعة...⁽³⁾ وحرّم أكل الخبائث وشربها؛ لما فيها من الأضرار البدنية والنفسية والعقلية، وفي مقدمة هذه الخبائث الخمر التي تذهب العقل وتفسد النفس، وتجلب الهم والغم والاكنتاب، وتصيب أعضاء حيوية في الجسم كالكبد والرئة، ومن الخبائث -أيضاً- الحشيش والمخدرات، وقد اجتمع النهي عن الخمر والمخدرات في حديث أم سلمة (رضي الله عنها): "نَهَى رَسُولُ

1. أخرجه الترمذي في أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب (ترجمة مرسله) (4/574) حديث رقم (2346)، وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب القناعة (5/253) حديث رقم (4141). واللفظ للترمذي.

2. أخرجه الترمذي في أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل (4/590) حديث رقم (2380)، وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه في كتاب الأطعمة، باب الاقتصاد في الأكل وكراهة الشبع، (4/448) حديث رقم (3349)، واللفظ للترمذي.

3. مما يستشهد به حديث أبي هريرة (رضي الله عنه): "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا.." وقد مضى في المطلب الأول.

اللَّهِ ﷺ عَنْ كُلِّ مُسْكِرٍ وَمُفْتَرٍ"⁽¹⁾، ومنها الميتة؛ لما يتراكم فيها من التعفن والجراثيم والميكروبات، ومنها لحم الخنزير مستودع الديدان الشريطية، وأحد أسباب ارتفاع الضغط وأمراض القلب والرئة... وهذه الخبائث الثلاثة (الخمير والميتة ولحم الخنزير) نزل القرآن الكريم بتحريمها، ثم أكدت السنة النبوية ذلك، وعززته بتقرير المسؤولية المجتمعية في الحد منها؛ فمنعت بيعها والمتاجرة فيها؛ فعن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما): أنه سمع رسول الله ﷺ يقول عام الفتح وهو بمكة: "إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخَنْزِيرِ، وَالْأَصْنَامِ"⁽²⁾. وأمر ﷺ بتغطية الآنية؛ فقال: "عَطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السَّقَاءَ"⁽³⁾، ونهى عن الشرب قائما، والأكل متكئا، وندب إلى الأكل باليمين والتصبح بسبع تمرات عجوة، إلى غير ذلك من الآداب التي اشتهرت أحاديثها، ولا يخفى أثرها في الحفاظ على السلامة الصحية.

والصورة الثانية من صور التنمية النبوية الوقائية في مجال الصحة أن النبي ﷺ نهى عن مخالطة الصحيح للمريض مرضا معديا، وأمر بالبعد عن المجذوم -وفي معناه كل مريض مرضا معديا- فقال: "لَا يُورَدَنَّ مُمْرَضٌ عَلَى مُصِحٍّ"⁽⁴⁾، وقال: "لَا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةَ، وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ، وَفِرَّ مِنَ الْمَجْدُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الْأَسَدِ"⁽⁵⁾، ولا تزاحم بين نهيهِ ﷺ عن مخالطة المريض، ونفيه العدوى؛ لأن المقصود "أن هذه الأمراض لا تعدي بطبعتها، ولكن الله تبارك وتعالى جعل مخالطة المريض بها للصحيح سببا لإعدائه مرضه، ثم قد يتخلف ذلك عن سببه كما في سائر الأسباب"⁽⁶⁾، وهذا موافق تمام الموافقة للواقع ومخرجات الطب أن مخالطة المرضى سبب للإصابة، ولكن قد لا ينتقل المرض؛ لوجود مناعة، وقد ينتقل المرض دون ظهور أعراضه.

1. أخرجه أبو داود في كتاب الأشربة، باب النهي عن المسكر (5/529) حديث رقم (3686). وسكت عنه أبو داود، وما سكت عنه فهو صالح، وجسن إسناده الحافظ ابن حجر. ينظر: ابن حجر، فتح الباري (10/44).
2. جزء من حديث أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب بيع الميتة والأصنام (3/84) حديث رقم (2236)، ومسلم في كتاب المساقاة، باب تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام (3/1207) حديث رقم (1581).
3. جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب الأشربة، باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء (3/1594) حديث رقم (2012).
4. أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب لا هامة (7/138) حديث رقم (5770-5771).
5. ذكره البخاري معلقا بصيغة الجزم، في كتاب الطب، باب الجذام (7/126) حديث رقم (5707).
6. ابن الصلاح أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن، معرفة أنواع علوم الحديث، تحقيق: عبد اللطيف الهميم، ماهر ياسين الفحل، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1423هـ، 2002م، (ص390).

والصورة الثالثة: فرض الحجر الصحي quarantine، ويدل عليه قوله ﷺ: "إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونَ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا"⁽¹⁾؛ فهذا توجيه نبوي إلى إجراء علمي فعال للحد من انتشار الأوبئة، يقوم على منع الدخول إلى الأرض الموبوءة؛ لئلا يتأذى الأصحاء، ومنع من كان داخل الأرض الموبوءة من الخروج منها؛ لئلا ينقلوا الفيروس إلى غيرهم، ويشمل المنع من لم تظهر عليه أعراض الإصابة خشية أن يكون حاملا للفيروس وهو لا يدري.

والصورة الرابعة: العناية بالنظافة الشاملة Hygiène générale، ومن شواهدنا أن النبي ﷺ جعل النظافة نصف الإيمان؛ فقال: "الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ"⁽²⁾، ومعنى الطُّهُور في هذا الحديث "نظافة الباطن والظاهر"⁽³⁾؛ فيشمل نظافة الباطن من الكفر والشرك والذائل الباطنية، ونظافة البدن والثياب والمكان من النجاسات والأدران، وتطهير البدن بالوضوء من الحدث الأصغر، والغسل من الحدث الأكبر. ولا يخفى على ذي لب أثر طهارتي الحدث والخبث في تحقيق السلامة الصحية، وطرح الميكروبات والخلايا الميتة من الجسم. والنظافة لا تنحصر فائدتها في صحة الأبدان، بل تتعداها إلى تنمية الصحة النفسية، وإشعار الإنسان بمنسوب عال من الطاقة الإيجابية، والشعور بالراحة والسكينة، مما يجعله صالحا، وفاعلا في مجتمعه.

ومن شواهد العناية النبوية بالنظافة المجتمعية إلزام النبي ﷺ الناس بالحفاظ على نظافة الماء والطريق والظل؛ فقال: "لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ الَّذِي لَا يَجْرِي، ثُمَّ يَغْتَسِلُ فِيهِ"⁽⁴⁾، وقال: "انْقُوا اللَّعَانَيْنِ قَالُوا: وَمَا اللَّعَانَتَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ فِي ظِلِّهِمْ"⁽⁵⁾. وَعَدَّ النَّبِيُّ ﷺ إِبْعَادَ مَا يُؤْذِي النَّاسَ مِنَ الطَّرِيقِ صَدَقَةً وشعبة من شعب الإيمان؛ فقال: «كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ (...) وَبُيُطِّطُ الْأَذَى

1. أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون (7/130) حديث رقم (5728).
2. جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء (1/203) حديث رقم (223).
3. ينظر القاضي عياض أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، إكمال المعلم بفوائد مسلم، المحقق/ يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1998م، (2/5).
4. أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب البول في الماء الدائم (1/57) حديث رقم (239) واللفظ له، ومسلم في كتاب الطهارة، باب النهي عن البول في الماء الراكد (1/235) حديث رقم (282).
5. أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب النهي عن التخلي في طريق الناس وظلهم (1/226) حديث رقم (269).

عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ" (1).

والصورة الخامسة: الترغيب في الغرس والزرع، ومن شواهده قول النبي ﷺ: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ، أَوْ إِنْسَانٌ، أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ" (2)، بل إن النبي ﷺ حض على غرس الأشجار، حتى لو ظهرت أمارات يوم القيامة؛ فقال: "إِنْ قَامَتْ عَلَى أَحَدِكُمْ الْقِيَامَةُ، وَفِي يَدِهِ فَسِيلَةٌ، فَلْيَغْرِسْهَا" (3). والأشجار فوائدها كثيرة وآثارها وفيرة؛ فبالإضافة إلى توفيرها الغذاء للإنسان والحيوانات وسائر الكائنات الضرورية للتوازن البيئي ومحاربة الجوع الذي يهدد صحة البشر، يمكن "لشجرة أن تمتص ما يصل إلى 150 كلغم من ثنائي أكسيد الكربون سنويا، وبالتالي تخفف من آثار تغير المناخ. والأشجار الناضجة تسهم في تنظيم تدفق المياه وتحسين نوعيتها، وأثبتت الدراسات أن قضاء بعض الوقت بالقرب من الأشجار يحسن الصحة البدنية والعقلية عن طريق زيادة مستوى الطاقة وسرعة الشفاء، ويخفض أيضا من ضغط الدم والإجهاد.." (4).

وبهذا يظهر أن غرس الأشجار لا تنحصر فائدته في المجال البيئي، بل له فوائد اجتماعية -أيضا- تتمثل في الحفاظ على صحة الأفراد، وسلامة المجتمع من الأمراض الناتجة عن التغير المناخي، وانتشار التلوث.

ومن جميل الهدى النبوي أنه لم يكتف بالترغيب في غرس الأشجار، ولكن حذر من قطع الأشجار؛ إفسادا وظلما، لا لمصلحة راجحة؛ فقال عليه الصلاة والسلام: "مَنْ قَطَعَ

1. أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب من أخذ بالركاب ونحوه (4/56) حديث رقم (2989) واللفظ له، ومسلم في كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (2/699) حديث رقم (1009).

2. أخرجه البخاري في كتاب الحرث والمزارعة (3/103) حديث رقم (2320).

3. أخرجه أحمد في مسند أنس بن مالك (رضي الله عنه) (20/251) حديث رقم (12902). وصحح الهيثمي إسناده وبين فقهه؛ فقال: "رواه البزار، ورجاله أثبات ثقات، لعله أراد بقيام الساعة: أمارتها، فإنه قد ورد: "إذا سمع أحدكم بالدجال، وفي يده فسيلة فليغرزها، فإن للناس عيشا بعد...". ينظر: الهيثمي أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المحقق/ حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1994م، (4/63).

4. ينظر فوائد الأشجار الحضرية، 30-05-2016، موقع منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة، اطلع عليه في 11-11-2024م. رابط الموقع: <https://www.fao.org/archive>.

سِدْرَةَ صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ"⁽¹⁾.

والصورة السادسة: تحريم الفواحش، وهذا قد نطق به القرآن الكريم صريحا، وأكدته السنة النبوية، مع إضافة نوعية مفادها أن الفواحش كالزنا، واللواط، والسحاق، وإتيان البهائم، وسائر الانحرافات الجنسية التي تضاد الفطرة متى انتشرت واستفحلت أدت إلى انتشار الأمراض الفتاكة التي لم تكن فيمن سبق؛ قال عليه الصلاة والسلام: "يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، حَمَسَ إِنْ ابْتُلَيْتُمْ بِهِمْ وَنَزَلَ فِيكُمْ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُمْ: لَمْ تَظْهَرَ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يَعْمَلُوا بِهَا إِلَّا ظَهَرَ فِيهِمُ الظَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَصَّتْ فِي أَسْلَافِهِمْ،..."⁽²⁾. وهذا أظهره واقع الناس؛ فقد انتشرت الأمراض المنقولة جنسيا كالإيدز، والسفلس، والزهري، وجدري القردة... وأول مسبباتها الفواحش على اختلافها.

والصورة السابعة: عناية النبي ﷺ بالتحصين النفسي والروحي، ويظهر ذلك في حثه على ذكر الله تعالى في كل الحركات والسكنات؛ بدءا من الاستيقاظ وانتهاء بالنوم، وذكر الله -كما أخبر الله تعالى- به ﴿تَظْمِنُ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28]، وهو حصن حصين من أذى الشيطان، والبطلة (السحرة) وغيرهم، ويشهد لذلك أحاديث نبوية منها قوله ﷺ: "الْأَيْتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَّتَاهُ"⁽³⁾.

تلك صور نحسبها كافية في استجلاء التنمية النبوية المستدامة في تنمية الصحة وقاية مع أننا لم نرم فيها الإحاطة؛ موافقة لقصد الاختصار في هذا البحث. وإكمالا للتصور نتقل إلى الشق الثاني:

1. أخرجه أبو داود في أول كتاب الأدب، باب في قطع السدر (7/523) حديث رقم (5239)، وسكت عنه - فهو صالح عنده- وقال في فقه هذا الحديث: "هذا الحديث مختصر، يعني: من قطع سدرته في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم، عبثا وظلما بغير حق يكون له فيها، صوب الله رأسه في النار" (أبو داود، السنن [مصدر سابق]، 7/525).
2. جزء من حديث أخرجه الحاكم في كتاب الفتن والملاحم (4/583) حديث رقم (8623). وصحح إسناده ووافقه الذهبي.
3. أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب (ترجمة مرسله) (5/84) حديث رقم (4008)، ومسلم في كتاب باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة (1/554) حديث رقم (807).

✓ الشق الثاني: التنمية النبوية المستدامة في المجال العلاجي

أولى النبي ﷺ التنمية العلاجية عناية كبرى، تجلت في صور، منها: حثه على التداوي، وفيه أحاديث صحاح كقوله ﷺ: "تَدَاوُوا فَإِنَّ اللَّهَ (عز وجل) لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً، غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ الْهَرَمَ"⁽¹⁾. فهذا الحديث يدل بالمطابقة على مشروعية استعمال الدواء لعلاج المرض، ويدل بالافتضاء على أن المجتمعات مأمورة أمراً كفاً بتوفير الدواء، والبحث عن علاج لما جد ويوجد من الأمراض، وفيه لفظة تحفيزية مفادها أن جميع الأمراض والأسقام -عدا الهرم- جعل الله لها دواء؛ فعلى الناس أن يبحثوا ويجدوا في اكتشاف أدوية الأدوية؛ وعليه لا يصح أن يدعى أن مرضاً ما لا دواء له؛ كالذي كان يقال في مرض داء فقدان المناعة المكتسبة AIDS، بل الواجب اعتقاد أن الدواء موجود، وأن الإنسان لَمَّا يكتشفه؛ فيكون هذا مدعاة إلى تضافر الجهود وتكاثف الخبرات للوصول إلى معرفة الدواء بدل الاستسلام للمقولة الخاطئة (لا دواء له).

والصورة الثانية: تحريمه ﷺ التداوي بالحرام حال الاختيار، وفيه قول النبي ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الدَّاءَ وَالِدَوَاءَ، وَجَعَلَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً، فَتَدَاوُوا، وَلَا تَدَاوُوا بِحَرَامٍ"⁽²⁾؛ فأذن بالتداوي بالحلال الطيب، ومنع التداوي بالحرام، والسبب أن ما حرم الله كالخمر، والنجاسات، والسحر، ولحم الخنزير... ليس دواء؛ من أحد وجهين؛ الأول: أنه ليس فيه منفعة ألبتة ولا هو علاج للمرض وإن تُوهم أنه كذلك، والثاني: أن فيه علاجاً لبعض الأمراض، لكن ضرره أكبر من نفعه؛ فيكون مستعمله كالمستجير من الرمضاء بالنار؛ وهذا مدلول قول النبي ﷺ حين سئل عن استعمال الخمر للدواء فقال: "إِنَّهُ لَيْسَ بِدَوَاءٍ، وَلَكِنَّهُ دَاءٌ"⁽³⁾.

والصورة الثالثة: إرشاده ﷺ إلى بعض الأدوية التي أثبت الطب الحديث فعاليتها

1. أخرجه أبو داود في أول كتاب الطب، باب الرجل يتداوى (6/5) حديث رقم (3855) واللفظ له، والترمذي في أبواب الطب عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الدواء والحث عليه (4/383) حديث رقم (2038) وقال حديث حسن صحيح، وابن ماجه في كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء (4/497) حديث رقم (3436).
2. أخرجه أبو داود في كتاب الطب، باب في الأدوية المكروهة (6/23) حديث رقم (3874)، وسكت عنه، فهو صالح عنده كما صرح في رسالته.
3. جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب الأشربة، باب تحريم التداوي بالخمر (3/1573) حديث رقم (1984).

كالعسل، والحبة السوداء، والحجامة... وفي ذلك أحاديث مستفيضة نكتفي منها بقول النبي ﷺ: "إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَّتِكُمْ - أَوْ يَكُونُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَّتِكُمْ - خَيْرٌ، فَفِي شَرْطَةِ مَحْجَمٍ، أَوْ شَرْبَةِ عَسَلٍ، أَوْ لُدْعَةِ بِنَارٍ تُوَافِقُ الدَّاءَ، وَمَا أَحَبُّ أَنْ أَكْتُوِي" (1)، وقد آثرت هذه الرواية لأنها موضحة للرواية المجملة التي يوهم ظاهرها حصر الشفاء في الأدوية الثلاثة، فهي تفصح عن تفضيل هذه الأدوية على سائر الأدوية التي كان يستعملها المخاطبون، وهذا لا يمنع أن يكون الخير في أدوية أخرى في زمن النبي ﷺ، أو بعده إلى زماننا ثم الذي يليه.

والصورة الرابعة: إرشاده ﷺ إلى وسائل تعزيز الروح المعنوية لدى المريض، وتقوية إرادته وعزيمته، وثقته الكاملة بربه؛ فجعل عيادة المريض حقا له على المجتمع؛ فقال: "حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ. قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: إِذَا لَقَيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، (...) وَإِذَا مَرِضَ فَعُدَّهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ" (2)، وشرع ﷺ الرقية الخالية من الشرك والشعوذة؛ فقال: "اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ، لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ" (3).

تلك باقة من الصور تظهر بوضوح المكانة السامقة للتنمية الصحية في السنة النبوية العطرة وقاية وعلاجاً؛ فحري بنا أن نفيد منها، ونحسن تفعيلها في واقعنا ومجتمعاتنا، ولعل من سبل تفعيلها ما يلي:

- أولاً: إسهام الحكومات ومختلف الهيئات الوطنية والدولية، والمنابر الإعلامية، والمؤسسات البحثية والإرشادية في نشر الوعي بأهمية الصحة البدنية والنفسية، وسبل تحصيل الوقاية، وتسهيل العلاج.
- ثانياً: إشعار الناس بمختلف الطرق والوسائل المتاحة بأمانة الصحة، وضرورة الحفاظ على نظام غذائي متوازن، والبعد عن مهددات الأمن الصحي للأفراد والشعوب.
- ثالثاً: التكافل الدولي في المجال الصحي، والنهوض بالدول الفقيرة؛ كي تكون قادرة

1. أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب الدواء بالعسل وقول الله تعالى: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: 69] (7/123) حديث رقم (5683).

2. أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام (4/1705) حديث رقم (2162).

3. أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك (4/1727) حديث رقم (2200).

على توفير جهاز صحي قوي.

- رابعاً: جعل الصحة أولى الأولويات، وزيادة الاستثمار فيها؛ بما يوافق مكانتها وأهميتها.
- خامساً: تشجيع وتطوير البحث العلمي الفردي والمؤسسي في مجالي الطب والتغذية.
- سادساً: الاستفادة من الطب النبوي فهماً وتنزيلاً.
- سابعاً: سن القوانين الكفيلة بحماية الثروة النباتية والمائية والهوائية، وحماية البيئة عموماً بما يوفر محيطاً يمتاز بالتوازن البيئي، وتتقلص فيه مساحة التلوث البيئي.
- ثامناً: تطوير نظام الحماية الاجتماعية، وتعميم التأمين التعاوني الإجباري على المرضى والعجز.
- تاسعاً: زيادة الاستثمار في الصحة بما يوافق مكانتها.
- عاشراً: تعزيز الأمن الاجتماعي، والسلم المحلي والعالمي، والسعي الحثيث والمنظم لسد أبواب الحروب والظلم، والاعتداء على دماء الناس كلاً أو جزءاً.
- حادي عشر: تصدي الحكومات والمنظمات العالمية للتجار في البشر وآلام الناس، والفسادين، ومحتكري الأدوية.
- ثاني عشر: نشر ثقافة النظافة الشاملة، والعناية بغرس الأشجار وجمال المحيط.
- ثالث عشر: الحد من انتشار الآفات الصحية كالخمر والمخدرات، والفواحش كالزنا واللواط والسحاق...
- رابع عشر: تطوير الطب النفسي والروحي بما يوافق الضوابط الشرعية، والتصدي للشعوذة والسحر والرقى الشركية.
- خامس عشر: تعزيز القدرة على مواجهة الجوائح والأوبئة، وتطوير نظام الحجر الصحي.
- سادس عشر: المساواة بين الناس في الحق في التطبيب والعلاج، والتصدي لكل أشكال التمييز والعنصرية والمحاباة أو الحيف.

المطلب الثاني: التنمية النبوية المستدامة في المجال التعليمي

رفع الله شأن العلم، وشرف أهله؛ فقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: 11]، وكان أول ما نزل على نبينا محمد ﷺ: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: 1]، وأناط سبحانه بنبيه ووظائف من أهمها التعليم؛ فقال: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: 164]؛ لذا جاءت السنة النبوية العطرة حافلة بالتنمية المستدامة في مجال التعليم، ومن صورها:

الصورة الأولى: أن النبي ﷺ افترض طلب العلم على كل مسلم ومسلمة؛ فقال: "طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ"⁽¹⁾، وندب الناس إلى طلب العلم والارتقاء في مدارجه؛ فقال: "مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ"⁽²⁾؛ فهذا إخبار تحفيزي بأن نهاية طريق العلم لمن أخلص فيه، ونفع وانتفع به هي الجنة، ومما يسترعي الانتباه في هذا الحديث تنكير الطريق؛ للدلالة على (الشيوع)⁽³⁾؛ فيشمل كل الطرق والوسائل التي تذلل العلم وتنميه، وهي "لا تحصى كثرة"⁽⁴⁾، وتتجدد بتجدد الزمان والمكان والإنسان؛ فكأن في الحديث دعوة إلى الابتكار والتطوير فيها. وتنكير العلم مشعر -أيضا- بالشمول؛ فيسع كل علم نافع، ولا يختص بالعلوم الشرعية.

والصورة الثانية: أن النبي ﷺ بوأ العلماء مقام وراثه الأنبياء، وفضل العالم العامل على العابد؛ فقال: "إِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ

1. أخرجه ابن ماجه في كتاب السنة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (1/151) حديث رقم (224). قال الحافظ زين الدين العراقي في المغني عن حمل الأسفار في الأسفار (1/8): "ضعفه أحمد والبيهقي"، قلت: وللحديث طرق وشواهد كثيرة قد يرتقي ببعضها إلى مرتبة الحسن لغيره.
2. جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن (4/2074) حديث رقم (2699).
3. ابن الملقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح (2/666).
4. المرجع نفسه والموضع نفسه.

والصورة الثالثة: أن النبي ﷺ كما رَغِبَ في التعلم، رغب في نشر العلم النافع وبثه سواء تعلق بأحوال المعاش أو بأحوال المعاد؛ فقال: "إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ" (2). فهذا الحديث ينبئ بأن العلم ثالث ثلاثة يستمر ثوابها بعد الموت، ولكن لا بد من الانتباه إلى فعل الانتفاع فقد جاء بصيغة الفعل المضارع (ينتفع) الذي يدل على الاستمرار والدوام، ولا يتحقق ذلك إلا إذا كان لصاحبه مشروع علمي ورَّثَهُ طلبه حملوه وخدموه بعده، أو ألف تصنيفا في علم من العلوم النافعة؛ فاستمرت الإفادة منه بعد موته.

والصورة الرابعة: أن النبي ﷺ لم يُعَنَّ فقط بترغيب الناس في العلم والتعليم، ولكن حرص على عقد مجالس للعلم حوت -بالإضافة إلى تعليم أحكام الإيمان والعبادات والمعاملات- تعليم كل شيء نافع؛ ومما يهدي إلى ذلك قول أبي ذر (رضي الله عنه): "لَقَدْ تَرَكْنَا مُحَمَّدٌ ﷺ، وَمَا يُحَرِّكُ طَائِرٌ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا أَذَكَّرَنَا مِنْهُ عِلْمًا" (3). ومن العلوم التي اهتم بها النبي ﷺ علم تزكية النفوس (4)، وعلم التاريخ، ويشهد له ما قصه النبي ﷺ على أصحابه من قصص السابقين، وقوله: "حَدَّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ" (5)، وعلم الأنساب،

1. جزء من حديث أخرجه أبو داود في كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم (5/485) حديث رقم (3641) واللفظ له وسكت عنه، والترمذي في أبواب العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (5/48)، (2682) وصحح بعض طرقه، وابن ماجه في أبواب السنة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (1/150) حديث رقم (223).
2. أخرجه مسلم في كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد (3/1255) حديث رقم (1631).
3. أخرجه أحمد في حديث أبي ذر الغفاري (رضي الله عنه) (35/290) حديث رقم (21361). وقال الهيثمي: "رواه أحمد، والطبراني (...) ورجال الطبراني رجال الصحيح، غير محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ وهو ثقة، وفي إسناده أحمد من لم يسم" (نور الدين الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (8/263-264)).
4. علم التزكية من أهم الوظائف النبوية كما في الآية التي سلف ذكرها ولها نظائر في القرآن الكريم؛ فكان النبي ﷺ مزكيا أصحابه تخلية وتحلية، ومعلما إياهم كيف يزكون أنفسهم وأنفس غيرهم؛ قال ابن القيم: "تزكية النفوس مسلم إلى الرسل، وإنما بعثهم الله لهذه التزكية، وولاهم إياها، وجعلها على أيديهم دعوة، وتعلima وبيانا، وإرشادا، لا خلقا ولا إلهاما، فهم المبعوثون لعلاج نفوس الأمم" (ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتمد بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1996م، (2/315)).
5. جزء من حديث أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (4/170) حديث رقم (3461).

ومن شواهد قوله ﷺ: "تَعَلَّمُوا مِنْ أُنْسَابِكُمْ مَا تَصَلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ..."⁽¹⁾، والعلوم البحتة؛ فقد أخبر النبي ﷺ بمراحل نمو الجنين في رحم أمه، وأمر بتنظيف الإناء الذي أصابه لعاب الكلب بالماء والتراب، وأخبر بوجود فيروس ومضاده في الذباب، وعدد المفاصل في جسم الإنسان... وفي ذلك أحاديث صحاح مشهورات؛ ضربنا عن ذكرها صفحا للاختصار. وفيما يتعلق بالعلوم البحتة فإنه لم يكن في زمن النبي ﷺ تطور علمي ومختبرات لاستجلاء ما أخبر به؛ فاكتفي بعلم اليقين؛ استصحابا لعقيدة أنه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى، وحين تطور العلم، وعَلَّمَ اللهُ الإنسان ما لم يكن يعلم صار ما أخبر به النبي ﷺ عين اليقين، وكل ما أخبر به لا يزيده العلم إلا إحقاقا وتشبيها.

وقراءتي للأحاديث الكاشفة عن الحقائق العلمية تتجاوز الوقوف عند كونها من الإعجاز العلمي في السنة النبوية، وإثبات صدق النبوة إلى مقام آخر وهو مقام الدعوة إلى تضافر جهود جميع أطراف المجتمع في أعمال النظر وحث خطى البحث فيما أودعه الله في الآفاق والأنفس؛ لاكتشاف عظمة الخالق ووحدانيته من جهة، ولتوظيف مخرجات البحث العلمي في إصلاح معاش المجتمعات ومعادهم من جهة ثانية.

والصورة الخامسة: مساواة النبي ﷺ بين الرجال والنساء في حق التعلم؛ فقد أذن لهن في أن يأتينه؛ فيسألنه، وجعل للنساء يوما خاصا للتعليم؛ استجابة لطلبهن؛ فعن أبي سعيد (رضي الله عنه) قال: «جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يوما نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله، فقال: "اجْتَمِعْنَ فِي يَوْمٍ كَذَا وَكَذَا، فِي مَكَانٍ كَذَا وَكَذَا. فَاجْتَمِعْنَ، فَأَتَاهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ"⁽²⁾.

والصورة السادسة: أن النبي ﷺ استثمر طرقا وأساليب رائدة في التعليم؛ كضرب المثال، والإشارة، والرسوم التوضيحية، وأسلوب الاستفهام والتحفيز والزوجة الذهنية، والتكرار، وتغيير الهيئة، والتعبير بالملامح، والقصص، والتأكيد، والحوار، والتشويق، وتقييم

2. جزء من حديث أخرجه الترمذي في أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في تعليم النسب (4/351) حديث رقم (1979).

3. أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام، باب تعليم النبي ﷺ أمته من الرجال والنساء مما علمه الله، ليس برأي ولا تمثيل (9/101) حديث رقم (7310)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه، (4/2028) حديث رقم (2633).

السؤال، ومراعاة الفوارق الفردية، والتدرج، والتعليل والاستدلال، والرفق والإقناع، والمبادرة، والتعليم بالقدوة... وعلى كل أسلوب شواهد متنوعات من السنة لو أوردناها لطال البحث، وقد كُفينا عرضها هنا بما أُلْف فيها مفردا، فلتطلب في مظاهرها⁽¹⁾.

ونكتفي في مقامنا هذا بشهادة صحابي أعرابي أخطأ فتكلم في الصلاة، فأصلح النبي ﷺ خطأه، وعلمه بالرفق واللين؛ فقال الرجل -وهو معاوية بن الحكم السلمي-: "مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللَّهِ مَا كَهَرَنِي وَلَا صَرَبَنِي وَلَا سَتَمَنِي". قَالَ: "إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ"⁽²⁾.

والصورة السابعة: أن النبي ﷺ ألغى كل أشكال التمييز في التعلم والتعليم؛ فقال - في خطبة حجة الوداع وهو يعلم الحجاج وجميع الأمة مبدأ التساوي في الأصل، ونبذ العنصرية والتمييز استنادا إلى اللغة أو القبيلة أو اللون...-: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى"⁽³⁾.

والصورة الثامنة: أن النبي ﷺ أرسل بعثة علمية، وأناط بها مهمة التعليم، ويشهد لذلك قول أنس بن مالك (رضي الله عنه): "جَاءَ نَاسٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: أَنْ ابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا يُعَلِّمُونَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ. فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُمُ الْقُرَّاءُ..."⁽⁴⁾.

وما حررنا من الصور كاف -وإن كان غيضا من فيض- في التدليل على العناية النبوية بالتنمية المستدامة في التعليم، ومن أهم ثمار إدراكها تفعيلها في واقعنا استصلاحا وتنمية لتعليمنا، ومن سبل **تفعيلها** ما يلي:

- أولا: إسهام الحكومات ومختلف الهيئات الوطنية والدولية، والمنابر الإعلامية، والمؤسسات البحثية والإرشادية في نشر الوعي بأهمية التعليم، وسبل تطويره،

1. ينظر -مثلا- علي بن نايف الشحود، الأساليب النبوية في التعليم، بهانج، دار المعمور، ط1، 2009م.
2. جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة (1/381) حديث رقم (537).
3. جزء من حديث أخرجه أحمد في حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ (38/474) حديث رقم (23489). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (3/266): "رجاله رجال الصحيح".
4. جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد (3/1511) حديث رقم (677).

وخطورة الأمية والجهل، وسبل تطويقهما.

- ثانيا: إشعار الناس بمختلف الطرق والوسائل المتاحة بضرورة التعلم والتعليم وكونهما مفتاح التنمية الشاملة.
- ثالثا: التكافل الدولي في المجال التعليمي، وإعانة الدول الفقيرة ماديا ولوجستيا؛ لتمكينها من توفير نظام تعليمي قوي وواعد.
- رابعا: جعل التعليم - إلى جانب الصحة- أولى الأولويات، في المشاريع الحكومية، وأنشطة فعاليات المجتمع المدني.
- خامسا: تشجيع وتطوير البحث العلمي في بناء نظريات وبيداغوجيات تعليمية فعالة وذات جدوى، وتوسيع مجال توظيف تكنولوجيا المعلومات والاتصال.
- سادسا: الاستفادة من الطرق والأساليب النبوية في الارتقاء بيداكتيك التعليم.
- سابعا: إعداد ترسانة قانونية كافية في تحصين وضبط مختلف العلائق التعليمية التعليمية.
- ثامنا: زيادة الاستثمار في التعليم بما يوافق مكانته.
- تاسعا: تطوير البنى التحتية للمدارس والمعاهد، وتزويدها بالموارد البشرية والمادية الكافية.
- عاشرا: تعزيز الأمن الاجتماعي، والسلم المحلي والعالمي؛ بما يحقق بيئة آمنة للمعلمين والمتعلمين.
- حادي عشر: إرسال البعثات العلمية للإفادة من الخبرات والتجارب الأجنبية، واستقدام الأطر الإدارية والتربوية الرائدة.
- ثاني عشر: سنّ إلزامية التعليم، والتصدي للهدر المدرسي، ومد يد العون

للأسرة الفقيرة، وتقريب المدارس من المواطنين، وتشجيع مجانية التعليم الجيد، والاستعانة بالتعليم عن بعد.

- ثالث عشر: المساواة بين الجنسين في الحق في التعليم، والتصدي لكل أشكال التمييز والعنصرية.

وأحسب هذه السبل مفاتيح لتطوير تعليم رائد تنظيرا وتنزيلا.

خاتمة

أظهر البحث في سنة النبي ﷺ صحة فرضية أن السنة النبوية عُنيت عناية فضلى بالمجال الاجتماعي بما يمكن من تحقيق تنمية مستدامة لا للمجتمع النبوي فحسب، ولكن لجيل عصر النبوة والعصور اللاحقة؛ وقد خلصنا بما حررناه من الشواهد إلى نتائج أهمها:

- أن النبي ﷺ كان ولا يزال الأنموذج الفائق، والمثال السامق، للمعلم اللودعي، والمربي الأملعي، والقائد النحرير، والمخطط البصير، والمفتي المحقق، والمصلح المدقق.

- أن النبي ﷺ لم تشغله رعاية دين الناس عن إصلاح دنياهم، وهدايتهم إلى ما فيه سعادتهم.

- أن التنمية النبوية المستدامة في المجال الاجتماعي تجاوزت الترغيب والترهيب، إلى تقديم خطط مدققة وتوجيهات محققة لتقليص دائرة الفقر والجوع، وتحقيق الأمن الغذائي، والنهوض بالصحة، والارتقاء بالتعليم.

- أن التنمية النبوية المستدامة في المجال الاجتماعي تمتاز بالفطرية، والشمولية، والواقعية، والوسطية.

- أن التنمية النبوية المستدامة في المجال الاجتماعي حبلى بحلول لمشكلات وتحديات كل العصور والأقطار، وفيها الرحمة للعالمين كل العالمين.

- أننا أحوج ما نكون في زماننا إلى العَبِّ من معين السنة النبوية بحسن فهمها، وتحقيق مناطاتها، وصحة تنزيلها، مع الانفتاح على تجارب الإنسانية وخبراتها؛ لتحقيق تنمية مستدامة شاملة.
- أن التنمية المستدامة في المجال الاجتماعي وغيره مسؤولية مشتركة بين الشعوب والحكومات ومختلف الهيئات. وتأسيسا على تلكم النتائج المتوصل إليها عنت لنا توصيات، نراها تتيما للناقص، واستدراكا للفئات، ومنها:
- إعداد بحوث ودراسات تعنى بالتنمية النبوية المستدامة في مجالات اجتماعية أخرى كالمساواة بين الجنسين ورعاية حقوق المرأة، وحماية المياه وتطوير خدمات الصرف الصحي، وحفظ الكرامة الإنسانية ونبذ كل أشكال التمييز، وتقوية الروابط الاجتماعية. وهذه القضايا قد ألمعنا إليها في بحثنا، ولكنها قمنة بأن تفرد دراسات مستقلة ومستفيضة.
- عقد مؤتمرات وملتقيات علمية وطنية ودولية تستثمر مداخل المشترك الإنساني، والنظر المقاصدي، وأحكام العبادات والمعاملات، والسلام العالمي، والبعد القيمي، والبعد الإحساني في تفعيل التنمية النبوية المستدامة؛ لأجل تلبية حاجات الحاضر دون الإضرار بحقوق أجيال المستقبل.
- ترجمة مخرجات البحث في التنمية المستدامة في السنة النبوية إلى اللغات العالمية وحسن إبلاغها؛ كيما تفيد منها البشرية جمعاء.

لائحة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم (مصحف المدينة للنشر الحاسوبي)
- الأساليب النبوية في التعليم، علي بن نايف الشحود، بهانج، دار المعمور، ط1، 2009م.
- إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي، المحقق / يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1998م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، لمرتضى الزبيدي محمد بن محمد، المحقق / محمود محمد الطناحي ومراجعة عبد السلام هارون، وزارة الإعلام، الكويت، 1993م.
- التعريفات، للشريف الجرجاني علي بن محمد، المحقق / جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2003م.
- التكافل الاجتماعي في الإسلام، لعبد العال أحمد عبد العال، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997م.
- التنمية المستدامة في الوطن العربي بين الواقع والمأمول، لمركز الإنتاج الإعلامي بجامعة الملك عبد العزيز، جدة، جامعة الملك عبد العزيز، 2006م.
- التنمية المستدامة مفهومها - أبعادها - مؤشرات، لمدحت أبو نصر وياسمين مدحت محمد، القاهرة، المجموعة العربية للتدريب والنشر، ط1، 2017م.
- توجيه النظر إلى أصول الأثر، لطاهر بن صالح الجزائري ثم الدمشقي، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط1، 1995م.
- التوضيح لشرح الجامع الصحيح لأبي حفص عمر بن علي ابن الملقن، المحقق / دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دمشق دار النوادر، سوريا، ط1، 2008م.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، لأبي عبد الله محمد ابن إسماعيل البخاري، المحقق / محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، ط1، 2001م.
- خطة العمل المشتركة بشأن نهج الصحة الواحدة (2022-2026)، روما، منظمة الأغذية والزراعة وبرنامج الأمم المتحدة للبيئة ومنظمة الصحة العالمية والمنظمة العالمية لصحة الحيوان، 2024م.
- دراسات في التنمية العربية الواقع والآفاق، لعارف دليلة وآخرين، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1998م.

- **السنن**، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَورة الترمذي، لأبي عيسى، المحقق / أحمد محمد شاكر وآخرين، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1975م.
- **السنن**، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، المحقق / شعيب الأرنؤوط محمّد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، بيروت، ط1، 2009م.
- **السنن**، لأبي عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني، المحقق / شعيب الأرنؤوط محمّد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، بيروت، ط1، 2009م.
- **شرح صحيح البخاري**، لأبي الحسن علي بن خلف ابن بطلال، المحقق / أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط2، 2003م.
- **علم اجتماع التنمية**، نبيل السمالوطي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع. د. ط. ت.
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، لأبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، 1960م.
- **لسان العرب**، لأبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت، ط3، 1994م.
- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، المحقق / حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1994م.
- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، المحقق / محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1996م.
- **مستقبلنا المشترك**، للجنة العالمية للبيئة والتنمية، ترجمه محمد كامل عارف، ومراجعة علي حسين حجاج، عالم المعرفة، 1989م.
- **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ**، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، المحقق / محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1954م.
- **المسند لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل**، المحقق / شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م.

- **مشارك الأنوار على صحاح الآثار**، لأبي الفضل القاضي عياض بن موسى، المكتبة العتيقة بتونس ودار التراث بالقاهرة، 1978م.
- **معجم مقاييس اللغة**، لأبي الحسين أحمد بن فارس، أحمد المحقق / عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، 1979م.
- **معرفة أنواع علوم الحديث** لأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن ابن الصلاح، المحقق / عبد اللطيف الهميم، ماهر ياسين الفحل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2002م.
- **المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار**، لأبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، مطبوع بهامش إحياء علوم الدين، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2005م.
- **موسوعة الفقه الإسلامي**، التوجيهي محمد بن إبراهيم، بيت الأفكار الدولية، السعودية، ط1، 2009م.
- **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم** للتهانوي محمد بن علي، تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم، المحقق / علي دحروج، ترجمة عبد الله الخالدي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1996م.
- **النهاية في غريب الحديث والأثر**، لأبي السعادات ابن الأثير مجد الدين المبارك بن محمد، المحقق / طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1979م.

المنشورات الإلكترونية:

- **الاستدامة**، اطلع عليه في 04/11/2024م. موقع الأمم المتحدة رابط الموقع: <https://www.un.org/ar/122274>
- **أهداف التنمية المستدامة**، الهدف الثالث: **الصحة الجيدة والرفاه**، (بدون تاريخ النشر)، موقع الأمم المتحدة، اطلع عليه في 09-11-2024م، رابط الموقع: <https://www.un.org>
- **أهداف التنمية المستدامة**، **الهدف الرابع: التعليم الجيد**، (بدون تاريخ النشر)، موقع الأمم المتحدة، اطلع عليه في 10-11-2024م، رابط الموقع: <https://www.un.org>
- **بيان صحفي** لأودري أزولاي، بتاريخ 31 أكتوبر 2024، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، اطلع عليه في 10-11-2024م، رابط الموقع: <https://www.unesco.org>

- **التحديات الصحية العالمية الملحة في العقد القادم**، 13 كانون الثاني/يناير 2020م، موقع منظمة الصحة العالمية، اطلع عليه في 11-09-2024م، رابط الموقع: <https://www.who.int>.
- **تقرير أممي**، 24 تموز/يوليه 2024، موقع الأمم المتحدة، اطلع عليه في 07/11/2024م، رابط الموقع <https://news.un.org/ar/story/2024/07/1132831>.
- التقرير العالمي لرصد التعليم، (بدون تاريخ النشر)، موقع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، اطلع عليه في 03-02-2025م، رابط الموقع: <https://gem-report-2016.unesco.org/ar/chapter>.
- **فوائد الأشجار الحضرية**، 30-05-2016، موقع منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة، اطلع عليه في 11-11-2024م. رابط الموقع: <https://www.fao.org/archive>.
- **قضايا عالمية: القضاء على الفقر**، (من دون تاريخ النشر)، موقع الأمم المتحدة، اطلع عليه في 07/11/2024م. رابط الموقع <https://www.un.org/ar/global-issues/ending-poverty>.
- **منشور الإحصاءات الصحية العالمية 2010**م. منظمة الصحة العالمية، رابط الموقع: <https://www.who.int>.
- **منشور الإحصاءات الصحية العالمية 2024**، منظمة الصحة العالمية، رابط الموقع: <https://www.who.int>.

